تاريخ المصريين ٢

علي ماهر

رشوان محمود جاب الله

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

عليّ ماهر

رشوان محمود جاب الله
مدرس مساعد بكلية الآداب - جامعة الزقازيق

الاخراج الفني : محمد قطب

الغلاف : اسام سعيد

تقـــديم

هذا هو الكتاب الثانى فى سلسلة الكتب التاريخية التى تصدر من هيئة الكتاب عن «تاريخ المصريين» ، وهو عن على ماهر • ويعتبر على ماهر باشـا من أبرز الشخصيات السياسية المصريةذات النزعة الأوتوقراطية. التى تركت بصماتها فى الحياة السـياسية المصرية فى العهد السابق علىثورة يوليو ، كوزير وكرئيس للوزراء وكرئيس للديوان الملكى • وقد لعب دورا خطيرا بعـد ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، حين استطاع بمقدرته الفذة . التى وضعها فى خدمة القصر الملكى ، نقل ذلك الجزء من السلطة الذى تخلت عنه انجلترا بالمعاهدة ، من يد الشعب الى يد القصر ، وأشعل بذلك حـدة الصراع بين الوفد والعرش ، مما مهد لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ • ثم عاد فلعب دورا لايقل خطورة بعد قيـام ثورة يوليو ، حين اختارته الثورة رئيسا للوزراء ، كجسر تنتقل منه الى الحكم الدكتاتورى ، واستطاع اقناع فاروق بالتنازل

عن العرش ، فساعد بذلك على سقوط الملك الذى رفعه فوق الشعب وساعده على بسط أوتوقراطيته لمدة خمسة عشر عاما ٠

ومما لاشك فيه أن تقديم مثـل هـذه الشخصية السياسية البارزة فى دراسة تاريخية الى القارىء ـ لأول مرة ـ هو أمر مفيد للغاية فى فهم العهد السابق على ثورة يوليو . وفى استيعاب فكره وشخصياته التاريخية والطبقة الحاكمة التى كانت تتربع على قمة المجتمع ٠

والأستاذ رشوان جاب‌الله هو خير من يكتب‌عن هذه الشخصية ، اذ كانت موضوع دراسته للماجستير التى حصل عليها من كلية الآداب جامعة عين شمس ، وقد عايشها سنين طويلة ، واستطاع متابعة نشاطها السياسى ٠

وفى هذا الكتاب فان الأستاذ رشوان جاب الله قد تتبع حياة على ماهر منذ نشأته حتى حصوله على شهادة الحقوق وعمله بالمحاماة وتعيينه قاضيا ، وتدرجه الوظيفى ٠ كما تحدث عن التحامه بالعمل الوطنى فى ثورة ١٩١٩ وتعيينه ناظرا لمدرسة الحقوق ، ثم

وكيلا لوزارة المعارف ، فوزيــرا للمعارف فى مارس ١٩٢٥ ٠

وقد عالج الأستاذ رشوان فى الفصل الثانى دور على ماهر فى ثورة ١٩١٩ واضراب الموظفين ، وانضمامه الى الوفد ، ودوره فى مباحثات سعد ــ ملنر ، وموقفه من تصريح ٢٨ فبراير ، وتعيينه عضوا فى لجنة الدستور ٠

أما الفصل الثالث فعالج فيه الأستاذ رشوان موقف على ماهر من الحياة الحزبية ، فتناول تعيينه وكيلا لحزب الاتحاد الموالى للقصر بالتحليل ، ونشاطه فى الحزب ، ثم استقالته منه ٠ ثم تاليفــه فيما بين ســنتى ١٩٤٥ و ١٩٥٢ «جبهة مصر» ٠

وفى الفصــل الرابع تنــاول المؤلف على ماهر فى الحياة النيابية ، من خلال عضويته فى مجلس الشيوخ ، ومواقفه تجاه الدستور . واعتداؤه عليه وعلى البرلمان، واعتقاله فى ابريل سنة ١٩٤٢ ٠

وفى الفصل الخامس تناول المؤلف على ماهر كرئيس للديوان الملكى فى الفترتين اللتين تــولى فيهما هــذا المنصب فى ١٩٣٥ و ١٩٣٧ ٠ وفى الفصــل السادس تناوله فى السلطة كوزير ورئيس للوزراء ، كما تناول سياساته واصلاحاته ٠

أما فى الفصل السابع فقد تناول المؤلف على ماهر وثورة يوليو ١٩٥٢ ، فأوضح دوره كرئيس للوزراء ، ثم دوره كرئيس للجنة مشروع الدستور (١٩٥٣ ــ ١٩٥٤) ــ حتى توفى فى أغسطس ١٩٦٠ ٠

ومن هذا العرض يتضح آن الأستاذ رشوان جاب الله قد تناول شخصية على ماهر السياسية من جوانبها المتعددة ، وآلقى عليها من الضوء مايكفى لابراز تأثيره فى الحياةالسياسية قبل الثورة ، بايجابياته وسلبياته حتى وفاته ٠ ومع آننا نختلف معه فى بعض ماآورده ، مما هو مسئول عنه علميا ، الا آنه جهد علمى طيب نرجو أن يفيد منه المختصون وغير المختصين ٠

د٠ عبد العظيم رمضان

مقدمـــة

اشترك على ماهر فى الكثير من الآحداث الكبرى التى مرت بمصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، فما ان تخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٣ حتى بادر بالعمـــل بالمحـــاماه ، ثم تدرج فى سلك الوظـــائف الحكومية بين القضاء والنيابة ووظائف التعليم ، وأثبت من خلال هذه المناصب كفاءة عالية نظرا لما تمتع به من ذكاء وحب للمعرفة ودقة الملاحظة .

ومنذ ثورة ١٩١٩ بدأ على ماهر يلعب دورا هاما فى السياسة المصرية فساهم فى هذه الثورة ، وكان له موقف من النشاط الحزبى والنيابى . وعمل فى الوزارة ورئاسة الديوان الملكى ، وعندما قامت حركة الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليه ١٩٥٢ قبل التعاون مع الضباط وقدم خلال هذه المرحلـــة أجل خدمة لمصر عندما أقنع الملك فـــاروق بالتنـــازل عن العرش وبذلك يكون قد نجح فى تجنيب البلاد خطر الحرب الأهلية بين أبنائها ،

وفى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ قدم على ماهر استقالته وانتقلت السلطة الى قيادة الثورة ، وعقب ذلك مارس أعمالا اجتماعية واقتصادية وسياسية ولكنها أقل أهمية عن ذى قبل ، وظل وفيا ومخلصا لوطنه عاملا على رفعته حتى آخر رمق فى حياته ٠

ولذلك رأيت تقديم هذا الكتيب للشباب عن «على ماهر» ودوره فى السياسة المصرية الذى يكشف عن جوانب خصبة فى تاريخنا القومى نحن أحوج مانكون الى الكشف عنه ودراسته والانتفاع به ٠

وعلى الله قصد السبيل

رشوان محمود جاب الله

الفصل الأول

نشأة على ماهر وحياته الوظيفية

نشأة على ماهر :

في يوم الأربعاء الموافق ٩ نوفمبر سـنة ١٨٨١ (١٧ ذو الحجة سـنة ١٢٩٨ هـ) ولد على محمد ماهـر ـ موضوع دراستنا ـ فى ناحية شياخة عفيفى آحمد ، بالعباسية ، فى القاهرة ، ومقيد بالدفتر رقم «٩٤٢» بمصلحة الدفترخانة المصرية (دار المحفوظات العمومية حاليا) تحت اسم على بن محمد آفندى ماهر .

ولقد واكبت فترة مولد على ماهر آحـداث خطيرة مرت بها مصر ، آبرزها نشوب وتصاعد الثورة العرابية وأعقبها الاحتلال البريطانى لمصر سنة ١٨٨٢ ، ولقد أحدث الاحتلال تغييرات شتى فى أوضاع مصر الداخلية من أجل تثبيت أقدامه ، ومن بين الأوضاع التى امتدت اليها يد المحتل بالتغيير نظام التعليم ، فقد لجأ الاحتلال الى اضعاف التعليم الوطنى الذى عرفته مصر طيلة عصر

محمد على واسماعيل ، فألغى نظارة المعارف وأصبحت مصلحة تابعة للأشغال العمومية ، وأغلق العديد من المدارس بحجة ضغط المصروفات للوفاء بديون مصر الخارجية ، وامتدت يد التغيير الى برامج ومناهج التعليم بهدف اضعاف الروح العلمية والقومية فى نفوس الطلاب المصريين والاكتفاء باعداد موظفين للحكومة ، أى آلات تكفى لتسيير عجلة الحكم ·

وترتب على العراقيل التى وضعتها الادارة البريطانية بالنسبة للتعليم أن أصبح أبناء كبار رجال الدولة والأعيان وحدهم هم الذين كان بوسعهم تلقى التعليم · ولقد قدر لعلى ماهر أن يسلك طريق «التعليم المدنى» فالتحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، وعندما أنهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وقد نال شهادة البكالوريا (الثانوية) سنة ١٨٩٨ بتفوق وكان ترتيبه الأول على أقرانه ·

وتجدر الاشارة الى أن على ماهر وهو طالب بالمدرسة الثانوية كان ذا ميول وهوايات متعددة ، فقد عرف عنه بأنه كان محبا للقراءة والبحث والاطلاع فرأس وهو تلميذ بالمدرسة الخديوية «جمعية الهلال والنجمة» التى

تأسست من أجل تنمية ملكة الخطابة والبحث عند التلاميذ • وغير ذلك نجد ان ماهر كان رئيسا لفريق كرة القدم ، وكان يهوى ركوب الدراجات ويدخل فى مسابقات العدو السريع •

وذكر على ماهر أن الرياضة تترك آثرا نفسيا وجسمانيا بارزا فيمن يمارسها وأوضح هذه الآثار هو : الاقبال على العمل ومواجهة المسئوليات بنشاط وعزم وثقة بالنفس ، وقال ايضا عن آثر الرياضة فى العمل أنه حينما تولى وزارة المعارف (١٩٢٥ ــ١٩٢٦) كان يعمل بلا كلل وذكر أن هذه المقاومة كانت ترجع الى أيام ممارسته للرياضة •

وبالاضافة الى ذلك عرف عن على ماهر حب السفر والسياحة وكان ذلك بتشجيع من والده ، ففى عطلة من العطلات الصيفية فى أثناء دراسته الثانوية رحل منفردا الى أوربا ، وتنقل بين ربوع سويسرا ، فدون مشاهداته فى أثناء رحلته ، وطبعها وهو تلميذ ، فخرجت متضمنة ملاحظات دقيقة ومقارنات بين الحياة الاجتماعية فى أوربا ومصر •

وبعد أن نال على ماهر شهادة البكالوريا وأراد أن يلتحق بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق) ، وجد أنه

يشترط فيمن يريد أن يلتحق بها أن يكون ملما باللغة الفرنسية ،ولما كانت دراسة علىماهر باللغة الانجليزية، فانه درس الفرنسية والتحق بعدها بمدرسة الحقوق واستطاع أن يسير جنبا الى جنب معمن درسوا الفرنسية قبله بأعوام .

وهكذا استطاع بفضل ما أتيح له من اشراف تربوى سليم وواع (١) ، وما وفرته له أسرته من أسباب الراحة أن يتابع بكل ما وسعه الجهد وسائل التفكير العلمى ، حتى أتم دراسته بمدرسة الحقوق بتفوق ونال الليسانس سنة ١٩٠٣ .

وضعه الاجتماعى :

ينتمى على ماهر الى الطبقة الارستقراطية التى كانت تتكون من كبار موظفى الدولة .. وعندما تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٣ بادر الى العمل بالمحاماه

---

(١) عرف عن محمد ماهر أنه كان بالرغم من مشاغله الكبرى يعنى عناية شخصية دقيقة بتهذيب أبنائه والاشراف عن كثب على تكوين خلقهم وتدبير معارفهم ، فقد كان حريصا على ادخال جميع أبنائه ـ ومن بينهم على ماهر ـ القسم الداخلى فى المدرسة امعانا فى تعويدهم الدقة والاعتماد على الذات ، فلما أتموا دراستهم الثانوية ـ ولم يكن بالمدارس العالية أقسام داخلية ـ هيأ لهم فى المنزل أسباب ذلك ، فجعل أمر ادارته فى أثناء العطلة الصيفية من شأنهم يتبادلونها كل أسبوع ، وتكون مهمة صاحب النوبة منهم السهر على نظافة البيت وملحقاته كلها ومراعاة ما يعد للأكل لأصحاب الدار والخدم أيضا .

وحمل لقب «أفندى» حتى عين قاضيا ، وبعد فترة من تعيينه فى القضاء حصل على رتبة «البكوية» من الدرجة الثالثة سنة ١٩١٢ ، ثم «البكوية» من الدرجـة الثانية سنة ١٩١٥ ، ثم «البكوية» من الدرجة الأولى سنة ١٩٢٣ على أثر تعيينه ناظرا (عميدا) لمدرسة الحقـوق • وفى أعقاب تعيين على ماهر وزيرا للمعارف العمومية سنة ١٩٢٥ حصل على رتبة «الباشوية» . وفى يوم تأليف وزارته الأولى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ حصل على رتبة «الرياسة» وأصبح يلقب باسم «حضرة صاحب الدولة»، وفى أثناء عمله بالديوان الملكى حصل فى ١٠ فبراير ١٩٣٨ على «قـلادة فؤاد الأول» وآنعـم عليـه بلقب «حضرة صاحب المقام الرفيع» •

وأهم تكريم حصـل عليـه هو منحه «الدكتـوراه الشرفية فى القانون» ، بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبى بمصر سنة ١٩٢٨ • وعلى ماهر يستحق هـذه الدرجة لاسهاماته الواضحة فى مجال القانون وآبرز دليل على ذلك مؤلفه عن «القانون الدولى العـام» عام ١٩٢٤ ، واستكماله خطوات انشاء الجامعة المصرية وتحويلها من جامعة آهلية الى جامعـة حكومية آثنـاء عمله وزيرا للمعارف سنة ١٩٢٥ •

وعن حياة على ماهر العائلية فنجد أنه تزوج حوالى عام ١٩٢٤ من ابنة محمد مجدى باشا الذى شغل منصب شيخ القضاة ، وأنجب منها ابنهما الوحيد «محمد» وعنى بتربيته ، وبعد أن أتم محمد على ماهر دراسته عمل بوزارة الخارجية وتدرج فى وظائفها حتى صار مستشارا .

أما عن علاقة على ماهر بأخوته فكانت علاقة ود ومحبة ، وعلى الرغم من أن خط على ماهر السياسى يختلف عن أخيه أحمد ماهر فان هذه الخلافات السياسية لم يكن لها آثر فى حياتهما العائلية ، فطوال مدة الاختلاف كان الاحترام والتقدير متبادلان بينهما باستمرار ولم تنقطع بينهما الزيارة ولا اللقاء فى الاجتماعات العائلية فكانا ينسيان كل شيء الا شعارهما الذى ورثاه عن والدهما كما يقول على ماهر : «..وهو أن نعيش لمصر . ونموت لمصر ، وان سقطنا نسقط رجالا » .

وكانت علاقة على ماهر غير ثابتة بأصدقائه وكانت تتغير حسب الظروف وكثيرا ماكانت تجر عليه هذه السياسة عداوة الزملاء والأحزاب ، ونلاحظ أن الخلافات السياسية بين على ماهر وأصدقائه وزملائه فى

العمل لم تترك آثرا بالنسبة له على العلاقات الشخصية التى تربطه بهؤلاء الأصدقاء ٠

وكانت من أهم عـادات على ماهر ، أنه كان يقيم مأدبة غذاء كل يوم أربعاء بمنزله بالجيزة ويجتمع فيها خاصته بدعوة مفتوحة منه تتكرر كل اسبوع وكانت هذه العادة أبرز مافى حياته الاجتماعية ، وكانت المائدة تضم لفيفا من أصدقاء على ماهر وبعض الصحفيين وبعض أساتذة الجامعة ٠ وكان على كل واحد من المدعوين أن يطرح للبحث احدى مسائل الأسبوع ويبدى فيها رأيه ثم يتعرض لها رفعة على ماهر بالتعليق وبعد ذلك يسأل المدعوين ، وكان على ماهر يحرص على آن يعرض أحد المدعوين لكتاب عـربى وآخـر آجنبى ، وكان يحث ضيوفه على الاطلاع على المراجع الأجنبية ودعوة الشباب الى الاهتمام بهـا لملاحقة التطور الفكرى والاتصـال بالعالم ٠

وكان على ماهر حريصا على آن يقضى عطلة نهاية الأسـبوع فى عزبته «القصر الأخضر» بين الفـلاحين وكثيرا ما كان يقيم الولائم لأهل العزبة والبلاد المجاورة لها ، حيث كان يقوم بنفسه ومعه بعض المسئولين بخدمة الفلاحين فى هذه المناسبات ٠

أما أهم صفات على ماهر ، فقد أجمعت المصادر على أنه اتصف بالذكاء والدهاء السياسى والمرونة ، والطابع العسكرى فى حسم الأمور • وكان عصبى المزاج ، سريع الغضب ، ومن صفاته أيضا أنه كان متحليا بالأدب الاجتماعى وكثرة النشاط •

تدرج على ماهر الوظيفى حتى عام ١٩٢٥ :

عندما تخرج على ماهر فى مدرسة الحقوق بادر الى العمل بالمحاماه أمام المحاكم الأهلية والمختلطة ، وكانت المحاماه أمام القضاء المختلط حكرا على الأجانب نظرا لأن اجراءات التقاضى كانت تتم باللغات الأجنبية ، ولكفاءة على ماهر شق طريقه فى المحاماه بنجاح واضح ومن عوامل نجاحه فى هذه المهنة تكوينه الطبقى حيث نشأ فى أسرة لها صلات قوية بكثير من رجال الدولة فى مصر ومهدله ذلك طريق التعرف على كثير من مشاهير رجال المحاماه مما جعل هؤلاء بدورهم يقدمون العون والمساعدة لشاب له المواصفات التى تؤهله لاقتحام هذا الميدان والنجاح فيه •

وامتاز على ماهر فى المحاماه امتيازا جعل نظارة الحقانية (وزارة العدل) تختاره للقضاء بعد ثلاث

سنوات من عمله بالمحاماه . فعين قاضيا بمحكمة مصر الأهلية فى ٩ مارس سنة ١٩٠٧ وظل يعمل قاضيا حتى ٩ يناير ١٩١٢ • وكان من مميزات على ماهر أثناء السنوات الخمس التى تولى فيها القضاء أنه لم يتقيد بحرفية القانون بل ينظر الى القضايا التى يفصل فيها نظرة اجتماعية الى جانب النظرة القضائية البحتة •

رقى على ماهر فى ١٠ يناير سنة ١٩١٢ الى درجة وكيل النائب العمومى وظل يشغل هذا المنصب حتى ٣٠ مايو ١٩١٤ ، ومن المواقف المشرفة التى وقفها خلال عمله فى هذه الفترة تحقيقه مع محمد فريد ورفضه اصدار أمر بالقبض عليه ، حيث كان فريد قد ألقى خطبة فى المؤتمر السنوى للحزب الوطنى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ • ولم يرض الحكومة هذا الموقف وقررت نقل التحقيق من يده وعهدت به الى على توفيق رئيس نيابة مصر ، وكان الغرض من هذا التدخل أن يتم القبض على فريد بسرعة ولكن فشلت خطة الحكومة حيث هاجر محمد فريد من مصر ووصل الآستانة فى ٣١ مارس ١٩١٢ •

ونقل على ماهر وكيل النائب العمومى الى ناظر (مدير) ادارة المجالس الحسبية فى أول يونيه ١٩١٤ ،

وظل يشــغل هذه الوظيفة حتى ١٨ يونيــه ١٩١٩ ٠ وصدر فى ١٩ يونيه مرســوم بتعيين على ماهر وكيلا لمحكمة أســيوط الأهلية بمرتب شــهرى قدره ســبعون جنيها ٠ وقد كان هذا التعيين بمثابة ابعاد لعلى ماهر عن الاســتمرار فى المشــاركة فى ثورة ١٩١٩ وذلك بتعيينه فى منطقــة نائية بعيدة عن بؤرة الأحــداث ٠ وأدرك على ماهر هدف الحكومة من هذا النقل فرفضــه ولذا قرر مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ فصل على ماهر من وظيفته ٠ وأرجح أن هذا النقل قد تم لوقف نشاط ماهر السياسى . فلما لم تفلح خطة الحكومة فى الزامه بالعمل قررت فصله بعد أن فضــل خدمة وطنه فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه وضحى برداء القضاء والمرتب المرتفع من أجل القضية المصرية ٠

وعقب انتهــاء أعمــال لجنــة الدســتور تم تعيين على ماهر « نــاظرا لمدرســة الحقوق » بمقتضى القرار الوزارى رقم « ٣٦٢ » فى ٢٩ أبريل ١٩٢٣ ، وعرف عن على ماهر أثناء عمله بمدرسة الحقوق الكفاءة فى العمل ٠ ولقــد اختار تدريس مادة « القــانون الدولى العام » وفى هذه الفترة ألف أول كتاب باللغة العربية

فى مادة القانون الدولى العام (١) ٠

وظل على ماهر فى منصب ناظر مدرسة الحقوق الى أن شكلت وزارة أحمد زيور الأولى فعين وكيلا لوزارة المعارف فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤ ، ودام عمله هذا ثلاثة أشهر تقريبا حلت بعدها الانتخابات العامة فطلب منه عبد الخالق ثروت أن يقتحم معركتها فدخلها وفاز بالنيابة عن دائرة الوايلى ، ثم عين وكيلا لحزب الاتحاد سنة ١٩٢٥ ، فوزيرا للمعارف العمومية فى ١٣ مارس ١٩٢٥ ٠

---

(١) على ماهر : القانون الدولى العام ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ٢٣ - ١٩٢٤ ٠

الفصل الثانى

على ماهر وثورة ١٩١٩

قبيل اندلاع ثورة ١٩١٩ وبينما كانت عناصر الثورة تتجمع والزعامات الرئيسية تضع مخططاتها للمطالبة بتحقيق استقلال الوطن ، نجد أنه فى نفس الوقت كانت هناك مجموعات أخرى من بعض ذوى الكفاءة والمقدرة وممن يتصفون بالديناميكية الثورية يبحثون عن زعيم لقيادتهم لتحقيق الأمانى الوطنية ومن بين هؤلاء الرجال على ماهر ومصطفى النحاس وغيرهما ، وكانوا يعقدون الاجتماعات لبحث مستقبل القضية المصرية . وفى أحد هذه الاجتماعات عرض مصطفى النحاس فكرة ضم مجموعة من الوطنيين اليهم للعمل على نشر الدعاية للقضية المصرية فى أوربا وأمريكا على هدى من مبادىء الرئيس الأمريكى ويلسون .

وراقت الفكرة لجميع زملاء مصطفى النحاس فتناولوها بالبحث والدراسة وانتهوا الى أنهم جنود

مجهولون لايسمع عنهم الشعب شيئا ، وقرروا لنجاح هذه الخطة أن تتقدمهم أسماء ذات شـهرة بهدف نجاح هذه الفكرة ووقع اختيارهم على سعد زغلول ليكون قائدا وزعيما لهذه الجماعـة وأخبرهم على ماهر أنه يعرف عبد العزيز فهمي ، وربما تمكن من اقناعـه بمخاطبة سعد زغلول بهذه الأفكار وقيادته لتلك الحركة ٠

وبالفعل ذهب على ماهر ومصطفى النحاس لزيارة عبد العزيز فهمي أكثر من مرة وحول هذه الزيارات ذكر مصـطفى النحـاس : « ٠٠٠٠ وزار عـلى مـاهر عبد العزيز فهمي بك ، ثم قمت أنا (مصطفى النحاس) بزيارته وتتابعت الزيارات وذات مسـاء مـال علينا عبد العزيز فهمي بك وقال بصوت خافت ، اسمعا ٠٠٠ لقـد فكرنا فيما فكرتم فيه أنتم ونفذنا الفكرة ٠٠٠ هـذا الأمر سر لكما وأود ألا يعلم به أحـد ٠٠٠ انى وسعد باشـا وعلى شعراوى باشـا ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك نواصل الاجتماع والبحث فى تأليف وفد يسـافر الى أوربا لبسـط قضية مصر أمام ساسـتها ٠٠ هذا سر بيني وبينكما فاكتماه فى أعماق قلبيكما والزما وصحبكما كل هدوء الآن ، ولا تكثرا من التردد علينا لئلا تلتفت أنظار السلطة الينا فتحوم

الشكوك حولنا ... (١) »

وبهذه الاتصالات بدأت وقائع مشاركة على ماهر في أحداث ثورة ١٩١٩ .

على ماهر واضراب الموظفين :

لم يكن للموظفين عمل يذكر في بداية الثورة ، وقد فكر بعض صغار الموظفين في الاضراب مشـاركة للأمة في حركتها العامة ولكنهم أخفقوا في مسعاهم اذ عارضت غالبية الموظفين وخاصة كبارهم خشية عواقبه ، وكل مافعله فريق منهم أن وقعوا عرائض احتجاج على اعتقال سعد وصحبه رفعوها الى السلطان .ولما نشرت خطبة اللورد كيرزون التي القاها أمام مجلس اللوردات في ٢٤ مارس عام ١٩١٩ وقد أثنى على الموظفين ورجال الجيش المصري ورجال البوليس ، وذكر أن سلوكهم أثناء الثورة وعدم اشتراكهم فيها دليل على صداقتهم للانجليز وعدم رضائهم على الثائرين . ولقد استاء الموظفون عامة من هذه الخطبة ، اذ جعلتهم في مركز حرج أمام الرأى العام ، لما احتوته من اتهامهم بالانحياز الى صف الاحتلال والحمـاية والتنكر للحركـة الوطنيـة فكتب الموظفون عرائض احتجـاج على الخطبة والحالة القائمة في مصر

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتي في عهدين ، ص ٢٤ ــ ٢٥ .

وقعهـا الموظفون فى مختلف الوزارات ورفعوهـا الى السـلطان وقدموا صـورا منها الى معتمدى الدول فى مصر ٠

وأعـلن المـوظفون عزمهم على الاضراب اظهـارا لشعورهم الوطنى وتضـامنهم مع الأمة ، وكان تنظيم هذا الاضراب راجعـا الى الطريقة العملية التى دبرت بها حركتهم فى مكتب على مـاهر مدير ادارة المجالس الحسبية بالذات ٠ فقد اجتمع النواب عن الموظفين فيه وطرحت عليهم مسألة الاضراب فرأى بعضهم أن يستمر الاضراب الى مالا نهاية ، ورأى فريق آخر أن يسـتمر الاضراب لمدة طويلة ، ورأى جانب آخر أن يظل الاضراب ثلاثة أيام فقط ٠ وكان اتجاه على ماهر هو الأخذ بأقل مدة ممكنة للاضراب ، وأقنع رفاقه بأضعف التيارات للاجماع من ناحيـة ، واقتنـاعا من ناحية أخرى بأن الموظفين اذا سهل خروجهم من دور الحكومة فان عودتهم اليها ستكون من أصعب الأمور ، وقرر أن يبدأ الاضراب بعد صرف المرتبات حتى يكون تحمل النفقات ميسورا ٠

وكان يطلب من على ماهر أن يعقد لجنة مندوبى الموظفين خارج ديوان وزارة الحقانية ـ حيث يوجد مكتبه ـ ولكنه كان يرفض هذا الطلب اذ اعتبر نفسه ورفاقه

مطالبين بحقوق وطنية فى هذه الفترة التاريخية من حياة الأمة المصرية ،ولا يوجد أدنى تعارض بين المطالبة بهذه الحقوق وقيام الموظفين بواجباتهم العامة ٠

وقد بدأ الاضراب الأول للموظفين لمدة ثلاثة أيام تنتهى فى ٥ ابريل عام ١٩١٩ ، وكان الظن أن ينتهى الاضراب على أثر الافراج عن سعد زغلول ورفاقه فى ٦ أبريل وما أعقب ذلك من تشكيل وزارة حسين رشدى الرابعة ، ولكن روح الاضراب تجددت لدى الموظفين بعد تأليف الوزارة ، وألفوا اللجنة التى سميت « لجنة مندوبى موظفى وزارات الحكومة ومصالحها » وجرى انتخابها بواسطة الموظفين ، وكان على ماهر أحد هؤلاء الأعضاء المنتخبين ، وكان الغرض من تأليف هذه اللجنة تنظيم شئون الموظفين ووضع الخطط السليمة لنجاح الاضراب٠

كانت باكورة أعمال هذه اللجنة أن اجتمعت بوزارة الحقانية يوم ١٠ أبريل سنة ١٩١٩ وقررت اضراب الموظفين عن العمل ابتداء من ١٢ أبريل الا اذا أجيبت المطالب الآتية :

١ ــ تصرح الحكومة بصفة رسمية بصحة توكيل سعد زغلول باشا عن الأمة فى مطالبها أمام مؤتمر السلام ٠

٢ ـ تصرح الحكومة بصفة رسمية أيضا أن تشكيل الوزارة لا يستفاد منه قبول الحماية وأن حالة مصر بعد زوال السيادة التركية عنها معلق البت فيها على قرار مؤتمر السلام ٠

٣ ـ رفع الأحكام العرفية وسحب الجنود المسلحة من الشوارع بجميع المدن والبنادر والقرى وتفويض الأمن والنظام الى البوليس المصرى ٠

ورفعت اللجنة هذا القرار الى حسين رشدى رئيس الوزراء وفى أعقاب ذلك دارت مباحثات طويلة بين الوزراء ووضعوا نص تصريح يحقق بعض مطالب الموظفين ، ولكن الجانب البريطانى رفض هذا التصريح ولم يوافق على نشره ٠ وكان هذا الاضراب يشكل شبحا مخيفا للسلطات البريطانية ، كما كان للاضراب أثرهعلى خطورة انتقال جهاز الدولة من سيطرة السلطات البريطانية الى معسكر الثورة واصابة جهاز الدولة الادارى بالشلل التام وماسيترتب على ذلك من تعطيل دفة العمل الحكومى ووقف مصالح الأجانب والمصريين وأثر ذلك في ازدياد اشتعال نيران الثورة ٠

وفى ١٦ ابريل سنة ١٩١٩ ، استدعى رئيس الوزراء على ماهر باعتباره المحرك الأول لاضراب

الموظفين ، وألح عليه فى دعوة الموظفين للعودة ، وأوضح له أنه منع الانجليز من اتخاذ وسائل عنيفة ضد الموظفين ·

وفى ١٧ أبريل ، استقبل للمرة الثانية على ماهر ودار بينهما نقاش حول مسألة اضراب الموظفين ، فقد أخبره حسين رشدى : «أن ثمة خطرا شديدا يهدد الموظفين اذا هم أصروا على موقفهم · فأجابه على ماهر بك : وما الذى انتهى اليه قراركم فى المسألة العامة التى وردت فى مطالب الموظفين» ؟

فأجابه رشدى : لم أستطع عمل شىء فى هذا . فرد عليه على ماهر بقوله :

اذن فأنت لم تدعن الا لتهددنا ؟ اعلم أن هذا غير مجد شيئا ··· (١) »

ونتيجة لعدم نجاح حسين رشدى فى اقناع على ماهر بالتأثير على زملائه أعضاء لجنة الموظفين باتخاذ قرار بعودة الموظفين الى العمل ، واتساع نطاق الاضراب ابتداء من يوم ١٦ أبريل قدم حسين رشدى استقالة الوزارة الى السلطان فى ٢١ أبريل ·

---

(١) يوسف نحاس : ذكريات سعد ، عبد العزيز ، ماهر ورفاقه فى ثورة ١٩١٩ ، ص ٧٥ ·

وفى أعقاب تقديم حسين رشدى استقالته ، اجتمع عشرة أعضاء من لجنة الموظفين بصفة عاجلة فى منتصف الليل ـ وكان على ماهر أحد هؤلاء العشرة ـ وقرروا عودة جميع الموظفين الى العمل ، وذكروا أن استقالة الوزارة تعد ترضية لهم ، ولكن الحقيقة أنهم علموا بالانذار الذى أعده اللنبى للموظفين بالعودة الى العمل والا سيتعرضوا للجزاء الرادع الذى يصل الى درجة الفصل من سجلات الحكومة فبادر هؤلاء الأعضاء العشرة الى الاجتماع واتخذوا القرار السابق بعودة الموظفين حتى لا يقال أنهم رضخوا لانذار اللنبى • وقد نشر منشور اللنبى الى الموظفين ومنشور لجنة العشرة فى ٢٢ أبريل ، وقد بدأ الموظفون فى العودة الى العمل ابتداء من ٢٣ أبريل سنة ١٩١٩ • وأعتقد أن هذه العودة ترجع الى انذار اللنبى ولم يكن قرار لجنة العشرة الا حفاظا على ماء الوجه لأعضاء لجنة موظفى الحكومة •

انضمام على ماهر الى الوفد :

قرر الوفد المصرى ضم على ماهر الى أعضائه فى ٧ نوفمبر ١٩١٩ ، نظرا لكفاءته وهمته فى خدمة القضية المصرية وقد ظهر ذلك بشكل واضح فى تنظيم اضراب الموظفين •

ولم يمض أكثر من أسبوعين على ضم على ماهر حتى ألقت السلطة البريطانية القبض عليه نظـرا لنشاطه السياسى ومقاومته للحماية ، فالحكومة البريطانية منذ نشوب ثورة ١٩١٩ وهى تسعى الى احباط الحـركة الوطنيـة ، ومن ذلك آرسـلت اللنبى الى مصر لتحقيق غايتين : الغاية الأولى اخماد الثورة بالطرق التى يراها ضرورية لذلك ، والثانية ادارة البـلاد بمـا تتطلبه استمرار الحماية على مصر ، وفى الوقت نفسه أخـذت الحكومة البريطانية تهيىء للحماية الاطـار القـانونى الشرعى الذى كانت تفتقر اليه . وهذا الاطار القانونى لم يكن من المستطاع توفيره للحماية الا بوسيلتين همـا الحصول على الاعتراف الدولى بهذه الحماية ، والثانية على اعتراف الشعب المصرى نفسه بهـا ، ولقـد كانت وسيلة الحكومة البريطانية لتحقيق الغرض الأول هـو الضغط على الدول الصديقة وغير الصديقة فى باريس للحصول على اعترافها بالحماية على مصر ، آما الوسيلة الأخرى لتحقيق الغرض الثانى فهى ارسال لجنة الى مصر لهذا الغرض تحت اسم لجنة التحقيق (لجنة ملنر) .

وازاء الرفض المصرى لتاليف لجنـة ملنر وقيـام مظاهرات الاحتجاج فى مصر والاسكندرية ، وافاضة

الصحف في نشر الرسائل متضمنة الاحتجاج على اللجنة ومقاطعتها ، اصدر اللنبى بيانا من دار الحماية فى ١٤ نوفمبر ١٩١٩ أعلن فيــه قرب قدوم لجنــة ملنر التى سيكون من مهامها اقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت الحماية ٠

وقد رد على مــاهر على هذا البيــان بكلمات قوية نشرت فى الجرائد على هيئة بيان صادر من لجنة الوفد المركزية ـ بالقــاهرة فى ١٦ نوفمــبر وتضمن رفض الحماية والمطالبة بالاستقلال التام ومن أجل ذلك ألقت السلطة البريطانية القبض على محمود سليمان رئيس لجنة الوفــد المركزية ونائبه ابراهيم ســعيد ونقلا الى منزليهما بالريف ، بينمــا اعتقلت على مــاهر فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ فى قشلاق قصر النيل ٠

وما أن أفرج عن على ماهر فى ٣يناير سنة ١٩٢٠، حتى أوفدته لجنة الوفد المركزية مبــاشرة الى باريس فى ٩ يناير ، يحمل خطابين الى الوفد المصرى أحدهما من حســين رشــدى وعــدلى يكن وعبد الخــالق ثروت ويتضمن المحادثات التى دارت بين هؤلاء الوزاء الثلاثة وملنر ٠ أما الخطاب الثانى ، فقد كان من لجنــة الوفد المركزية وصفت فيه الحالة العامة فى البلاد وتناولت

فيه أيضا تصريح لجنة ملنر ورفض المفاوضة معها واحالة هذا الأمر الى الوفد اذا لم ير فى ذلك تعارضا بين الاستقلال التام والمصالح البريطانية . وكانت مهمة على ماهر الثانية هى السعى لتصفية جو الخلاف الذى نشأ بين أعضاء الوفد بباريس ، ووصل على ماهر الى باريس فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٠ وقابل سعد زغلول وسلمه الخطابين وتحدث معه عن وحدة الأمة ووقوفها خلف الوفد . ونجح ماهر فى تصفية الخلافات بين أعضاء الوفد،وعادت المياه الى مجاريها بين الأعضاء وعادت الجلسات الى مجراها الطبيعى وتبادل الزملاء الزيارات الودية .

على ماهر ومباحثات سعد ـ ملنر :

لم يكن دور على ماهر مقتصرا فقط على اصلاح ذات البين بين أعضاء الوفد ، بل ساهم فى المباحثات التى دارت بين الوفد ولجنة ملنر ، فبعد آن انتهت معركة المقاطعة بقبول الوفد ولجنة ملنر للتفاوض للوصول الى اتفاق يحقق كلا من استقلال مصر وصيانة مصالح بريطانيا ، آرسل اللورد ملنر المستر «هرست» فى ١٧ مايو سنة ١٩٢٠ الى باريس لدعوة الوفد لهذه المباحثات بين الوفد ولجنة ملنر فى لندن ، وقد أراد

سعد زغلول أن يرجع الى الأمة لاستشارتها فى أمر السفر الى لندن فاقترح على ماهـر لتحقيق ذلك أن يطلب من أحمد شوقى بك ـ الشاعر الوطنى ـ أن يكتب دعـاء يتلى فى المساجد والكنـائس ليكلل الله جهـود الوفد بالنجاح ومباحثاته بلندن • وقد تم الدعاء فكان ذلك بمثابة اذن وتصديق من الأمة على السفر وانحلت بذلك هذه العقدة واتضـح معهـا ألمعية على ماهـر وحسن تصرفه •

ورأى الوفد قبل تلبية الدعـوة ايفـاد ثلاثة من أعضائه وهم : على ماهـر وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود ، فسافر عدلى يكن والأعضاء الثلاثة فى ٢٣ مايو ١٩٢٠ الى لندن بغية التأكد من أن الحكومة البريطانية مسـتعدة لأن تعترف بالاسـتقلال الحقيقى لمصر مـع احترام المصالح البريطانية الحقيقية على طريقة لاتمحو ولاتعطل هذا الاستقلال وتجعله حماية مسـتورة • ثم التأكد كذلك من أن لجنة ملنر تعتبر الوفد نائبـا عن الأمة المصرية وليس مجرد شاهد فى قضية تحقيق •ولقد أسفرت المراسلات بين المندوبين الثلاثة وسعد زغلول الى موافقة الأخير وبرفقته بقية الزملاء على السفر الى لندن فى ٥ يونيه ١٩٢٠ • ووصل سعد والأعضاء الباقون

معه فى باريس الى لندن وجرت المباحثات فى لندن يوم ٩ يونيه ، ورأس سعد زغلول الجانب المصرى ، بينما رأس الجانب البريطانى ملنر

وفى جلسة المباحثات التى دارت بين سعد وملنر يوم ٢ يوليه ١٩٢٠ اقترح ملنر تأليف لجنة فنية مشتركة من رجال القانون من الجانبين المصرى والانجليزى لوضع مذكرة وافية عن الامتيازات الأجنبية وحقوق الأجانب وهذه الاقتراحات تكون موضوع المناقشة والتعديل أو الاقرار ، وقد وافق سعد زغلول على هذا الاقتراح وتألفت اللجنة التشريعية على الوجه الآتى :

ـ يمثل الجانب المصرى : على ماهر وعبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة ٠

ـ يمثل الجانب البريطانى : هرست ويعاونه اثنان من رجال القانون فى الحكومة البريطانية ٠

وقد أسفرت المباحثات عن مشروع معاهدة بين مصر وانجلترا قدمه ملنر الى الوفد فى ١٧ يوليه ١٩٢٠ ورفضه أعضاء الوفد ، ومشروع قدمه الوفد الى ملنر فى ١٩ يوليه وقد رفضته لجنة ملنر أيضا ٠

وقد قامت لجنة ملنر بوضع مشروع جديد ، وقد قــدم هــذا المشروع الى الوفد فى ١٠ آغسطس ســنة ١٩٢٠ ، وفى ١٥ أغسطس تبادل أعضاء الوفد الرأى فى مسألة الذين يسافرون الى مصر لعرض المشروع على الأمة ، ثم أصدر الوفد القرار الآتى :

١ ـ اختيار على ماهر ولطفى السيد ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتى للسفر الى مصر لاستشارة الأمة فى المشروع ٠

٢ ـ الالتزام بســياسة الحيــاد التام فى عــرض المشروع ٠

٣ ـ بيان كل الحقائق كما يعرفها الوفد ٠

٤ ـ يضم الى الأعضاء الأربعة ويشترك معهم فى مهمتهم مصطفى النحــاس وويصــا واصف والدكتور حافظ عفيفى الموجودون فى مصر ٠

ولقــد بدأ أعضــاء الوفد المنتدبون مهمتهم فى استطلاع رأى الهيئات والجماعات ، وقد أجمعت الغالبية العظمى على قبول المشروع مع ادخال بعض التحفظات عليه ٠ أما فيما يتعلق بمندوبى الاستشارة الأربعة ومنهم على ماهر فالمصادر تكاد تتفق على تباين نزعتها

على أنهم لم يقفوا عند عـرض المشروع وحسب ، بل ذهبوا الى أبعـد من ذلك فراحوا يحبـذونه للأمـة من ناحية ، ويوسـعون فى تفسـيراتهم لبعض نصوصه ، وبذلك خرجوا على مهمتهم الأصلية المكلفين بهـا وهى عرض المشروع بطريقة محايدة •

وبعد أن قضى المندوبون أكثر من ثلاثة أسابيع فى فى مصر وأدوا مهمتهم عادوا الى باريس فى أول أكتوبر ١٩٢٠ ، وفى أعقاب ذلك اتصل الوفد بلندن لاتمـام المباحثات وبادر ملنر بدعوة أعضاء الوفد ، وفى لندن بدأت المفاوضات فى ٢٣ أكتوبر ، وقد عقدت الجلسة الثانية والأخيرة من المباحثات فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٠ بين أعضاء الوفد المصرى ولجنة ملنر وفيها ألقى ملنر بيانا أوضـح فيـه أن بحث مسألة الأمـانى الوطنية (التحفظات) يجب أن تؤجل لمرحلة المفاوضات الرسمية المقبلة بين ممثلى الحكومتين وأن هذا رأى أعضاء اللجنة بالاجماع والمهم أن تقوم وزارة ثقـة فى مصر يؤيدها الوفد ، وأعلن انهاء المبـاحثات بين الوفد ولجنته لكى يقدم تقريره الى الحكومة البريطانية •

مما سبق يتبين أن على ماهر بذل غاية جهده منذ لحظة وصوله الى باريس لاحـلال الوئام بين أعضـاء

الوفد ، ولم يتوقف برهة فى سبيل تحقيق هذا الهدف ، كما ساهم أيضا فى المباحثات التى دارت بين سعد وملنر واستغل وقت فــراغه فى الاطــلاع على الدراســات القانونية ، وقام بالدعاية للقضية المصرية خير قيام ٠

على ماهر وموقفه من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ :

صدر تصريح ٢٨ فبراير من جانب انجلترا فقط وفيه اعترفت انجلترا بانتهاء الحماية وان مصر دولة مستقلة ذات سيادة والغــاء الأحكام العــرفية بمجــرد اصدار الحكومة المصرية قانون التضمينات ، وتحتفظ مع ذلك وبصورة مطلقة بمسائل أربع لمفاوضات مقبلة وبقاء الحالة فيما يتعلق بها على ماهى عليه الى آن يتم بشأنها اتفاقات بين مصر وبريطانيا وهى :

١ ــ الدفاع عن مصر ٠

٢ ــ حماية الأجانب ٠

٣ ــ حماية الأقليات ٠

٤ ــ الســوادن ٠

وبعد اعلان هذا التصريح حــدث خلاف بين على ماهر وزملائه أعضاء الوفد اذ كان من المرحبين به ومن

أجل ذلك استقال من الوفد فى ١٨ مارس عام ١٩٢٢ ، وقد طلب الكثيرون من على ماهر أن يوضح أسباب استقالته من الوفد فكتب كلمة نشرت بالأخبار أوضح فيها أنه اختلف مع زملائه فى تقدير هذا التصريح وفى رسم الخطة الجديدة التى توصلهم الى تحقيق مطالب الأمة ، فقد كان من رأى على ماهر أن تصريح ٢٨ فبراير هو خطوة فى سبيل الاتفاق مع بريطانيا فهو من الوجهة النظرية القانونية يعترف باستقلال مصر وسيادتها ويلغى حماية عام ١٩١٤ المنصوص عليها فى معاهدة فرساى عام ١٩١٩ ، وقد أعلنت مصر استقلالها وسجلت الدول اعلانها فأصبحت مصر دولة مستقلة وهى بهذه الصفة ستفاوض انجلترا وذلك مما يقوى مركزها • وقد كان عدم صدور مثل هذا التصريح فى سنة ١٩٢٠ سببا فى انقطاع المفاوضة بين الوفد المصرى ولجنة ملنر ، ويرى أيضا أن أهمية التصريح تسمح بمطالبة الحكومة الجديدة باحياء صيغ التصريح وادخالها فى دائرة العمل والتطبيق واستثمار النتائج المترتبة عليها فى جميع فروع الحكومة ومظاهر الحياة المصرية ، فهو ينظر الى ظروف التصريح نظرته الى المواقع الحربية التى يتخلى فيها أحد الجيشين المتحاربين عن مكان فيتحتم على الجيش الآخر احتلال هذا المكان ، ويعتبر هذا

التصريح أول ثمرة لجهود المصرين جميعا وآن اجتناء هذه الثمرة لأكبر مشجع على التريث لحظة واحدة فى مضاعفة جهادها والسير الى الأمام بعزيمة صادقة حتى بلوغ الغاية الكبرى (الاستقلال التام) وآن الطريق لتحقيق هذه الغاية وعر لم يقطع منها الا المرحلة الأولى والوسيلة الأسمى لبلوغ هذا الهدف هو السعى الى تجديد الوحدة القومية وايجاد روح التضامن بين الأمة والحكومة ، وبقيام الهيئة النيابية فان ذلك سيؤدى الى تهيئة الظروف لمفاوضات مقبلة للعمل على وضع حد لهذه التسوية المؤقتة والسياسة القويمة لتحقيق ذلك هى سياسة التفاهم والشورى والاتحاد والتعاون والحرية والعدل والبناء ٠

ومما لاشك فيه آن مصر لو كانت أقبلت على هذا الدور الجديد من آدوار علاقتها بانجلترا متحدة الكلمة مؤتلفة القلوب آخذة بدواعى النظام ملتزمة جانب الحكمة لأصابت خيرا كثير ٠

على ماهر عضوا بلجنة الدستور (أبريل ـ أكتوبر ١٩٢٢) :

كان طبيعيا بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعطى مصر استقلالا مشروطا أن تعمل الحكومة على

ارساء النظام السياسى على أسس ديمقراطية سليمة وتحقيقا لذلك دعت الجماعات السياسية للمساهمة معها فى وضع دستور للبلاد . بيد أن الوفد والحزب الوطنى طلبا أن تتولى هذه المهمة جمعية وطنية منتخبة من الشعب وليس لجنة حكومية . فلما امتنعت الحكومة عن تحقيق هذه الرغبة رفضا الاشتراك فى هذه المهمة عن طريق لجنة حكومية .

وازاء ذلك ألفت وزارة عبد الخالق ثروت فى ٣ أبريل لجنة لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب من ثلاثين عضوا يرأسها حسين رشدى وينوب عنه أحمد حشمت ، وقد جمعت اللجنة صفوة من رجال القانون والعلماء والرؤساء الروحانيين والأعيان ، وكان على ماهر أحد هؤلاء الأعضاء المعينين .

عقدت اللجنة جلساتها فيما بين ١١ أبريل و٢٦ أكتوبر ١٩٢٢ فاستمر بذلك عملها ستة أشهر متوالية ، ومن خلال الاطلاع على محاضر جلسات لجنة الدستور وجدت أن على ماهر كان حريصا على حضور جميع الجلسات التى عقدت وكان له باع طويل فى المناقشات التى دارت فى اللجنة . وفى الجلسة الثانية للجنة الدستور (١٣ أبريل ١٩٢٢) وافقت الهيئة على

اقتراح لحسين رشدى بانتخاب لجنة فرعية من بين أعضاء لجنة الدستور لوضع المبادىء الدستورية العامة وعرضها على اللجنة العامة لكى يؤخذ بها فى الدستور وقانون الانتخاب • وحصل على ماهر على ٢٥ صوتا وأصبح أحد أعضاء هذه اللجنة التى تكونت من ثمانية عشر عضوا • وقد عقدت هذه اللجنة ثمانى عشرة جلسة من ١٩ أبريل الى ٢٠ مايو ١٩٢٢ حصلت فى أثنائها المناقشات فى المبادىء وأسفرت عن مائة وعشرين قرارا خاصا بالقواعد العامة •

ولقد وضح من مناقشات لجنة المبادىء العامة (لجنة الثمانية عشر) واللجنة العامة وجود ثلاثة اتجاهات واضحة المعالم بين الأعضاء. الاتجاه الأول «أوتوقراطى» ومثله أنصار الملك فؤاد وهم حريصون على أن يملك الملك ويحكم فى نفس الوقت • والاتجاه الثانى «جماعة الملكيين المعتدلين» ومثله أنصار الحكومة ومع اتجاه أفكارهم الى أن الأمة مصدر السلطان الا أن أفكارهم لم تكن على نمط واحد وكانت على درجات متفاوتة حسب الموضوعات المطروحة للمناقشة • والاتجاه الثالث تمثل فى «جماعة الملكية الدستورية» وهذا الفريق حريص على الدفاع عن سلطة الأمة

وسيادتها والأخـذ بمبدأ المسئولية الوزارية وضرورة الفصل بين السلطات ، ومثله في اللجنة عدد قليل كان في مقدمتهم على ماهر وعبد اللطيف المكباتي ومحمد على علوبه وعلى المنزلاوى • وكانت نظـرية على ماهر أن اطلاق اليد خير مدرب على تحمل المسئوليات ، ولذا نجد أنه كان من أنصار أن ينص في الدستور على مبدأ سلطة الأمة وأن كل سلطة في البـلاد مسـتمدة من الأمة ولم يسع لابعاد الملك عن السلطة التشريعية ولكن في نفس الوقت تبنى المبدأ الانجليزى الذى يلزم الملك بالتصديق على مايقرره المجلسان •••

وفي جلسة ٢٨ أغسطس ١٩٢٢ ، تقرر تشـكيل لجنتين ، لجنة لتحرير الدستور من أربعة أعضاء ، ولجنة لوضع قانون الانتخاب من سـتة أعضـاء على أن تكون الرياسـة في اللجنتين لحسين رشـدى ، وتـم انتخاب عبد العـزيز فهمي وعبد الحميـد بدوى وتوفيق دوس ومحمود أبو النصر للجنة التحـرير ، بينما انتخب على ماهـر وعلى المنزلاوى ومحمد على وحسن عبد الرازق وتوفيق رفعت وابراهيم الهلباوى للجنـة الانتخاب • وتأكيدا من على ماهر للمحافظة على سلطة الأمة طالب أن يتم الانتخاب على درجة واحدة لأن الأصل أن الانسان

يستعمل حقه بنفسه واذا كان هناك ضرورة لوضع بعض الشروط فى الناخب فلا بأس من عمل ذلك أسوة بانجلترا ....

ولقد دعا الملك فؤاد على ماهر ثلاث مرات أثناء اجتماعات لجنة الدستور وطلب اليه تغيير رأيه فى بعض الأمور التى كانت تعالج فرفض وكانت نظرية الملك أن الاقلال من المنح أول الأمر ، ثم اضطراد الزيادة خير من الاكثار . ثم الاضطرار الى الانقاص .

لقد بذل على ماهر مجهودا كبيرا فى لجنة الدستور . فسعى الى قيام نظام الحكم فى مصر على آساس الملكية الدستورية وآثبت آنه ذو فكر متطور يقف بجانب الشعب حينما يطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ويدعم أقواله بأدلة دامغة دلت على سعة اطلاعه وعمق تفكيره ، ولكنه كان مثل كثير من أعضاء اللجنة الذين أسرفوا فى النقل عن الدساتير الأوربية التى ثبتت صلاحيتها فى البلدان التى طبقت بها ونسوا أن الدساتير انما توضع للوفاء بحاجيات بلد ما فى وقت ما . ولايشترط أن مايتم تطبيقه فى بلد آخر يصلح لمصر . فلكل مجتمع ظروفه الثقافية والاجتماعية التى تختلف عن المجتمع الآخر .

الفصل الثالث

موقف على ماهر من الحياة الحزبية

استطاع سعد زغلول أن يجمع المصريين تحت زعامته خلال ثورة ١٩١٩ ، حيث رأى الشعب فيه صورة الزعيم الذى يبحث عنه ، وأصبحت الحركة الوطنية بتوجيهه حركة مستقلة بذاتها تحتل مكان الصدارة من الحياة السياسية ٠ ولكن كان من الصعب عليه أن يستمر فى قيادة كل الفئات التى تصدت للعمل السياسى ، فكان تكوين الأحزاب بعد هبوط تيار الثورة أمرا طبيعيا ، وأخذت تظهر تكتلات سياسية هى امتداد لما كان قبل عام ١٩١٤ مع الاختلاف فى التفاصيل نظرا لتطور البلاد خلال الحرب العالمية الأولى ، وعلى ماهر باعتباره أحد السياسيين البارزين خلال هذه الحقبة ، كان له نشاط وموقف من الحياة الحزبية المصرية ٠

على ماهر وكيلا لحزب الاتحاد :

تألف حزب الاتحاد فى ١٠ يناير سنة ١٩٢٥ ، وقد انضم الى الحزب فئة من الوصوليين أرادوا الافادة من

صلة الحزب بالسراى لينالوا مايبتغون من النفوذ وكراسى الوزارة ، كما انضم اليه عــدد من كبــار الضــباط المتقاعدين وعدد آخر استقال من حزب الوفد مثل محمد سعيد ، وهذه الاستقالات لم تكن لايمان بعقيدة حزب الاتحاد ، بل كان دافعها المصالح النفعية من وراء حزب القصر . كما انضم الى حزب الاتحاد على ماهر وصــار وكيــلا له بمقتضى جلسة مجلس الادارة فى ٣ مارس ١٩٢٥ ، وتم اختياره عضوا باللجنة التنفيذية للحزب بجلسة الجمعية العمومية للحزب فى ٢٧ مارس ســنة ١٩٢٥ .

ان انضمام على ماهر الى حزب الاتحاد يعد من الأمور الملفتة للنظر ، فمنذ شبابه كان من المؤمنين بمبادىء الحزب الوطنى وان لم ينضم اليه من الناحية الرسمية ، ثم أصبح من ألصق المتصلين بسعد زغلول خلال ثورة ١٩١٩ ولعب دورا كبيرا فى التوفيق بين سعد وعدلى حفاظا على وحدة الأمة ، وبقبوله لتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ومشاركته فى أعمال لجنة الدستور عد من رجال حزب الأحرار وان لم ينضم للحزب ، وبعد ذلك انضم الى حزب الاتحاد وصار وكيلا له ، وهذا الانضمام من جانب على ماهر الى حزب الاتحاد يدعونا الى التساؤل

عن الأسـباب التى أدت الى التقـارب بين على مـاهر والقصر ، لاسـيما وأنه كان مكروهـا من الملك فؤاد بسبب ولائه لسعد زغلول أثناء ثورة ١٩١٩ وآرائه التى نادى بها فى لجنة الدستور حول ضرورة قيام ملكية دستورية فى مصر • ولعل أسباب هذا التقارب ترجع الى ادراك الملك فؤاد أن على ماهـر فى كل مايقوم به من أعمـال انمـا تحدوه رغبة مخلصة لخدمة الوطن والعرش • ومن المرجح أن حسن نشأت اتصل بعلى ماهر نظرا لماضيه المشرف فى ثورة ١٩١٩ وأثر ذلك على دفع البعض للانضمـام الى الحزب ، وقد قبـل على مـاهر الاشتراك فى الحزب اعتقـادا منه بدفع العمل الوطنى والمسـاهمة فيه من خـلال قيـام حزب الملك (حزب الاتحاد) سيحل محل قوة الوفد ومن هنا تكون الفرصة مواتية له لرسم سياسة قومية للعمل السياسى • ولكن هذه الحسابات كانت خاطئة نتيجة لعدم احتكاكه بالواقع ومعـايشة أفراد المجتمع المؤمنة بحزب الوفد وزعيمه سعد زغلول •

بدأ على ماهر عمله فى حزب الاتحـاد بنشـاط وجدية بحيث أنه أصبح من النـاحية العملية الرئيس الفعلى للحزب على الرغم من كون يحيى ابراهيم باشا

الرئيس الرسمى للحزب • وقد شارك على ماهر فى تنفيذ سياسة تدعيم سلطة الملك وذلك من خلال المساهمة فى الانقلابات الدستورية الثلاثة فى عهد وزرات أحمد زيور (١٩٢٥ـ ١٩٢٦) ، ومحمد محمود (١٩٢٨ـ ١٩٢٩) ، واسماعيل صدقى (١٩٣٠ـ ١٩٣٣) وما ترتب على ذلك من تعطيل البرلمان وقيام وزرات تحكم بمراسيم دستورية غير مستندة الى أغلبية برلمانية •

ورغبة من حزب الاتحاد فى تنظيم شئون الجرائد التى تصدرها شركة الصحافة المصرية على مبادىء حزب الاتحاد وهى « الاتحاد والليبرتيه والشيطان » تم تشكيل لجنة فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ من السيد أبو على رئيس الشركة رئيسا وعضوية كل من على ماهر وحلمى عيسى ومحمود أبو النصر وادوار قصيرى بصفتهم أعضاء لبحث حالة تلك الجرائد من الوجهة الاقتصادية ومن جهة التحرير والمحررين والعمال وتنظيم الادارة ، وأصبح على ماهر منذ يونيه عام ١٩٢٧ مشرفا بصفة عامة على صحف حزب الاتحاد •

ولم يكتف على ماهر بالمشاركة فى تنظيم شئون صحف حزب الاتحاد وتوفيرالراحة لمحررى هذه الصحف، بل سعى الى شرح وتوضيح سياسة الحزب وموقفه من

الأحداث السياسية عن طريق عقد الندوات التى كانت تقام كرد فعل لتصرفات الوفد والأحرار الدستوريين ٠

وظل التعاون قائما بين حزب الاتحاد والشعب حتى وقعت حادثة البدارى وعلى أثرها اختلف على ماهر وزير الحقانية ووكيل حزب الاتحاد مع اسماعيل صدقى رئيس مجلس الوزراء حول معالجة مساوىء الادارة على ضوء ماكشفت عنه هـذه الواقعة ، وأمام استحالة اتفاق الوزيرين فى العمل خرج ماهر من الوزارة ٠ وحرصا من حزب الاتحـاد على البقاء فى الحـكم اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الاتحاد للنظر فى الخلاف الذى طرأ بين على ماهر واسماعيل صدقى وأعلن الحزب تأييده للوزارة فى سياستها واستمرار معاونته لها ٠ وفى أعقاب ذلك قـدم على ماهر وكيل حـزب الاتحـاد استقالته من الحزب ٠

وتعد استقالة على ماهر من حزب الاتحاد بمثـابة انتهاء ارتباطه بأى حزب سياسى من هذه الفترة حتى نهاية حياته ، ولكنه فى نفس الوقت كانت له علاقات قوية مع بعض القوى السـياسية والدينية الصـغيرة الحجم قوية التأثير على الجماهير كجماعة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة ، ومن هنا وثق علاقته بها لاضعاف شوكة

الأحزاب التقليدية وتبنى سياسته الاصلاحية ونشرها بين الشعب حينما تولى الحكم ، وفى نفس الوقت لم يقطع علاقته بالأحزاب ولكن هـذه العـلاقة كانت تفتقد الى الثقة بينه وبينها فسعى الى مهادنتها جميعا وهـو فى الحكم لضمان تأييدها له أو التخفيف من حدة هجومها عليه ٠

على ماهر وجبهة مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) :

أسس على ماهر جبهة مصر فى ١٠ نوفمبر سـنة ١٩٤٥ ، وقد وجه الدعوة فى هذا اليوم الى لفيف كبير من الشيوخ والنـواب المستقلين وأعضـاء الأحـزاب والهيئات السياسية ورجال الفكر والصحافة بمقر دار جبهة مصر بالقاهرة

وفى هذا الاجتماع حـرص على ماهر على توضيح الغرض من انشاء هـذه الجبهة فقال : «٠٠٠ ان جبهة مصر ليست حـزبا ، انمـا هى جبهة للمصريين جميعا أمنيتها أن تجمع القوى الحية فى البلاد أفرادا وجماعات حول مبادىء رئيسية للسـياسة الخارجية والداخلية ، والسياسة الاجتماعية والاقتصادية ، فهى لاترمى الى جمع الناس حول أفراد لذاتهم ، انما تجمع المواطنين

حول برامج لما تقررة من مبـــادىء وخطط ، وتدعــو المواطنين الى التعاون القوسى التام فى كل وقت وفى كل حــين ، ٠٠ وتدعــو الى الاتحــاد والالتفــاف حــول العرش ٠٠٠ (١) » ٠

وبعد مرور عام على تأسيس جبهة مصر تقدم على مــاهر الى الشعب المصرى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ بمشروع اجمالى لبرنامج قومى عبارة عن مقترحــات طرحها للمناقشة والمشاورات العامة بغية الوصول الى الصورة المثالية للمجتمع المصرى وذلك بوضع ميثــاق قومى تلتزم الأحزاب كلها وتؤسس عليه سياسة البلاد ٠

ولم تتح الفرصة لهذا البرنــامج لكى يأخذ دور التطبيق الا عندما تولى على ماهر الحكم عقب حريــق القاهرة فى ٢٧ يناير عام ١٩٥٢ وعشية قيام حركــة الجيش فى يوليه ١٩٥٢ ، فقد وزع على ماهر برنامج الجبهة على الوزراء وطالبهم بأن يكون برنامجا لعمــل الــوزارة ، ولكن لم يتمكن على مــاهر من تطبيق هذا البرنامج بالكامل ويرجع ذلك الى قصر عمر وزارتيه ٠ ومما يلفت النظر أنه على الرغم من أن على ماهر رفع فى برنامج الجبهة شــعار «وضــع حــد أقصى للملكية

(١) على ماهر : جبهة مصر ، ص ٢٠ ٠

الزراعية الكبيرة» الا أنه عند التطبيق العملى لقانون الاصلاح الزراعى ارتد بشدة عن هذا الشعار وعارض تحديد الملكية الزراعية .

ولكن هل وجدت هذه الدعوة آذانا صاغية من جانب زعماء الأحزاب السياسية المصرية ؟ واجابة على ذلك نقول لم تهتم الأحزاب المصرية ببرنامج جبهة مصر ويرجع ذلك الى رغبتهم فى عدم التقييد بأى نظام حديث يخرجهم عن نطاق السياسة الحزبية التى تخضع لها البلاد ، وليس من مصلحتهم تغيير آساليب الحكم . تلك الأساليب التى تضمن لكل فريق منهم العودة اليه فى دوره الانقلابى . وهى السياسة التى تبناها الملك لتوسيع سلطاته على حساب الشعب ، وقد عبر الملك عن استيائه واستهزائه بجبهة مصر التى آسسها على ماهر فى كافة المناسبات التى كان يدعو ماهر لحضورها لأنها بلاشك كانت ضد سلطته المطلقة .

ولم يؤيد على ماهر فى انشاء هذه الجبهة سوى حزب الفلاح الاشتراكى (١٩٣٨ ـ ١٩٥٢) ، ودعت جبهة الشباب القومى بهذا الحزب الأمة الى مؤازرة جبهة مصر باعتبارها المعبرة الحقيقية عن آمانى وآهداف الأمة القومية .

وقد اعتمد على ماهر على فرق الشباب التى شكلها هــذا الحزب منــذ توليه الوزارة فى آغسطس ١٩٣٩ للقيام بدور الدعاية لوزارته فى الريف ، وحين اعتقل على ماهر سنة ١٩٤٢ كان حــزب الفــلاح فى مقدمة الأحزاب التى طالبت بالافراج عنه ، ونصب قادة حزب الفلاح أنفسهم دعاة للجبهة بين صــفوف الفــلاحين واستمر هذا الحــزب فى عضــويته للجبهة حتى سنة ١٩٥٢ .

من هذا يتبين آن جبهة مصر لم يلتف حولها وحول رئيسها (على ماهر) سوى نفر قليل من الشباب المخلص . وسعى على ماهر طوال رئاسته للجبهة الى تحقيق الوحدة والائتلاف بين الأحزاب ولكن هذه الدعوة لم تجد آذانا صــاغية ، ولذا فيمكن القــول بآن جبهة مصر كانت النافذة المعبرة عن ســياسة على ماهر ــ ومجموعة من الشباب التى كانت تتطلع الى استخدامه لتطبيق مبادئها فى النهوض بالطبقة الكادحة من العمال والفلاحين .

على ماهر ومفهوم الحياة الحزبية السليمة :

فى حديث صحفى لعلى ماهر الى جريدة الأهرام فى ٢٠/٤/١٩٤٥ أوضح آنه لايؤمن بقيام الحزب الواحد

لأن الروح الديمقراطية الصحيحة هى فى هذه الوحدة القائمة على مناقشة الآراء المتعددة والمفاضلة بين وجهات النظر المختلفة لاستخلاص خير مافيها والتعاون فى تحقيقه وخير للبلاد أن تعيش بلا أحزاب من أن تعيش بحزب واحد يسيطر عليها ويجند مواطنيها • وفى نفس الوقت لايقر على ماهر تعدد الأحزاب ذات البرامج والمبادىء المتشابهة اعتقادا منه بأن قيام مثل هذا النوع من الحزبية فى بلد من البلاد كفيل بتحطيم كيانه السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، لأن النضال بين هذه الأحزاب ينتهى الى نضال دائم أساسه الحرص على المجد الشخصى وتوجه نشاطها الى تولى الحكم • ومن أجل هذا يرى ضرورة تنظيم الأحزاب المصرية على أساس جديد ، فاذا تبين أن قيام نظام جديد للحزبية فى مصر غير ميسور عن طريق التطور الطبيعى فمن الواجب وضع قانون لذلك لأن الفضائل والنظم الصالحة التى تقف فى سبيلها العادات البالية يجب على المصلح أن يقيمها بما يسنه من التشريع حتى يألفها الشعب وترسخ فى النفوس • وينبغى أن يكون للأحزاب برامج واضحة سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غيره على أن العبرة بتنفيذ هذه البرامج • فيجب أن يشمل بيان الوسائل لتنفيذها ، أما الأحزاب

ذات البرامج المتشابهة فيجب أن تندمج فى حزب واحد له برنامج واضح ·

ويرى على ماهر أنه اذا قام هذا النظام يصبح من غير العسير على الأحزاب أن تجتمع فى صـــورة مؤتمر يعقد مرة فى كل عام وتتناول خلاله بحث الشـــئون المهمة من مالية واقتصادية واجتماعية وسياسية ، وتقرر نوع كل مســألة ينبغى أن ترتفع فى نظـــر الجميع الى مرتبة المسألة القومية الكبرى التى لايجوز بأية حـــال الاختـــلاف فيها أو عليها ، ويجب تشكيل هيئة دائمـــة تتألف من مندوبى الأحزاب ينضم اليها بعض المفكرين وتكون مهمتها صيانة الوحدة القومية وضمان التعاون الحر بين الجميع ···

وبوصول على ماهر الى الحكم عقب قيام ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ سعى الى تقويم الحياة النيابية وقد مهـــد لهذه السياسة وذلك بتطهير الأحزاب السياسية ، ومن هذا المنطلق أذاع بيانا فى غاية الخطورة الى الشعب فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٢ ، أوضح فيه أن الحياة البرلمانية لن تتطهر الا بتطهير الأحزاب ، وذكر أن الحياة البرلمانية منذ قيامها وتعددت الأحزاب ، ظلت الأحزاب فى شغل شاغل بالتنافس بينها واعدة أنها متى آلت اليها مقاليد

الحكم ستؤدى الى هذا الوطن أكبر الخدمات لكنها ماتكاد تصل اليه حتى يسأم الشعب حكمها ويضيق ذرعا بأساليبها ...

وأعتقد أن بيان على ماهر الى الآمة المصرية حول تطهير الأحزاب لقيام حياة نيابية سليمة كان بمثابة السلاح السرى الذى استخدمه قادة حركة يوليو لضرب الأحزاب من الداخل وتصفيتها وشق صفوفها وتشتيت قواها ووقع فى هذا الفخ كبار قادة الأحزاب .

وتكشفت الممارسة والتجربة استحالة التعاون بين رجال السياسة والأحزاب بما فيهم على ماهر ورجال الجيش ، ومن هنا كانت استقالته من الوزارة فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، وعقب ذلك اصدرت حكومة الثورة القانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ الذى يقضى بضرورة اعادة تنظيم الأحزاب السياسية ، وتلت هذه الخطوة خطوة حاسمة آخرى قضت على الأحزاب المصرية؛ وذلك بصدور قانون حل الآحزاب ومصادرة آموالها لصالح الشعب بالقانون رقم ٣٧ الصادر فى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ .

وبالغـــاء الأحزاب السياسية نبتت فكرة انشـــاء «هيئة التحرير» كتنظيم سياسى تطـــل منه الثورة على الجماهير للتعبير عن مبادئها ·

الفصل الرابع

على ماهر والحياة النيابية

على ماهر عضو البرلمان :

رشح على ماهر نفسه عن دائرة الوايلى فى انتخابات مارس عام ١٩٢٥ ، وفاز فى هذا الانتخاب بأغلبية مطلقة فى ١٢ مارس ، ولكن لم يقدر لهذا المجلس أن يباشر مهامه النيابية نتيجة لصدور مرسوم حله فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ ، وهو نفس اليوم الذى كان من المقرر دعوة المجلس فيه للانعقاد • وعندما رشح على ماهر نفسه فى نفس الدائرة سنة ١٩٢٦ لم ينجح ، على الرغم من مساعدة وزارة الداخلية له ، بل فاز منافسه حسن حسيب مرشح الوفد •

لم يرشح على ماهر نفسه ثانية لانتخابات البرلمان ، ويرجع ذلك الى أنه لم يكن ذا شعبية كبيرة ـ لعل نجاحه فى الانتخابات السابقة راجع الى مساندة الحكومة له ـ كما يرجع ذلك أيضا الى انتمائه لحزب

الاتحاد ــ لفترة من الزمن ــ وهو حزب أنشأه القصر ولم يكن له شعبية ، وبالاضافة الى ذلك نجد أن على ماهر لم يكن خطيبا مفوها قادرا على جــذب الجماهير ، ولذا فان عضويته لمجلس الشيوخ كانت بالتعيين خلال فترات طويلة من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٥٢ ٠

مما سبق يتبين أن الوزارات المصرية على اختلاف نزعتهــا الســياسية كانت حريصــــة على تعيين عــلى ماهر عضوا بمجلس الشيوخ للافادة من خبراته المتنوعة فى شتى المجالات السياسـية والاقتصادية والاجتماعية ٠ وبفحص مضابط مجلس الشيوخ فى هذه الفترة نجد أن على ماهر كان دائم الاعتذار عن حضــور جلسات المجلس ، واذا كان تقديمــه الاعتــذار قبل كل جلسة يعبر عن ذوق وتقدير للمجلس بدلا من الغياب بدون عذر . الا أن نسبة هــذه الاعتــذارات بلغت أكثر من «٧٥٪» من جلسات المجلس خلال أدوار الانعقاد المعين فيها على ماهر ٠

وان استمرار هذه الحالة الممثلة فى غياب على ماهر وغيره من الأعضاء عن حضور جلسات المجلس كان يشكل خطورة بالنسبة للحياة النيابية ، لأن مجلس الشــيوخ بما له من ســلطة الرقابة على الحكومة وسن المشروعات

والقوانين . أو دراستها واقرارها أو رفضها اذا تقدمت بها الحكومة كان احوج مايكون الى الافادة من خبرة على ماهر ، لأنه لم يكن عضوا عاديا ، بل تدرج فى سلك العمل القضائى والسياسى واتسم بالنشاط والعطاء فى الأعمال التنفيذية التى تولاها • وعلى ماهر باعتذاراته الدائمة يتناقض بهذا التصرف مع أقوال سابقة أدلى بها فى لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ ، وكان من أشد المؤيدين لضرورة حضــور عضــو البرلمان اجتماعات المجلس ، وحينما طلب توفيق دوس (أحد أعضاء لجنة الدستور) وقف المكافأة المالية عن العضو الغائب ، أوضح على ماهر أن المسألة ليست بقيمة المكافأة ، بل تتعدى الى حقوق الأمة ، ولذا طالب بفصــل العضــو اذا تغيب أكثر من عشر جلسات بدون عذر ، واذا كان وهو عضو بمجلس الشيوخ قد تمسك بالشكل فى تقديم الاعتذار الا أنه أخل بالجوهر النيابى فى عدم حضور جلسات المجلس فى حين نجد أنه كان حريصا على حضــور جميع الجلسات الافتتاحية التى يحضرها الملك ، وفيما عدا ذلك نادرا ماكان يحضر جلســات مجلس الشــيوخ ، وفى حــالة حضوره كان حريصا على أن يدخل صامتا معتدا بنفسه قليل الحديث •

ومما يذكر لعلى ماهر فى مجلس الشيوخ سنة ١٩٥١ أنه انتخب رئيسا للجنة التى اختصت بنظر مشروع الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وكان هذا الاختيار فى أعقاب القاء مصطفى النحاس رئيس مجلس الوزراء مراسيم الغاء المعاهدة واتفاقيتى السودان ٠ وأعتقد أن هذا الاختيار راجع الى تقدير أعضاء اللجنة لكفاءة على ماهر وخبرته القانونية وقدرته فى العمل من خلال اللجان نظرا لحاجتها الى البحوث القانونية والفقهية ٠ ولقد كان هذا الاختيار موفقا فسرعان ماوافقت اللجنة بالاجماع على الغاء المعاهدة ودراسة بقية مشروعات القوانين وشكلت من داخلها لجنة فرعية برئاسة على ماهر لاعداد تقرير لعرضه على المجلس ٠

وقد قدم على ماهر تقرير اللجنة الى المجلس فى ١٥ أكتوبر ١٩٥١ ومما قاله فى هذا الصدد : «٠٠ ان المشروعات التى تقدمت بها الحكومة فى هذا الموقف التاريخى العظيم ، بحثتها اللجنة المكلفة بذلك ، فوجدت أنها تتفق تماما مع مطالب البلاد التى أجمعت عليها الأمة المصرية وتتفق تماما مع شرفها وسلامة أراضيها وحياتها القومية ، فالغاء المعاهدة عمل يقتضيه الشرف والحق والقانون والعدل ، والغاء الاتفاقية الثنائية كان

من أهم نتائجه أن رد للسودان حقوقه ، وكان التشريع الخاص به تشريعا كريما حفظ لأهل السودان مكانتهم بين الأمم ومصر ، ولذلك ترجو اللجنة من المجلس الموقر أن يوافق على مشروعات القوانين ٠٠٠ (١)» ٠

وقد تمت موافقةمجلس الشيوخ على هذهالمشروعات بالاجماع ٠ وهكذا أسرع على ماهر مع زملائه باعداد التقرير المؤيد لسياسة الوزارة بالغاء المعاهدة وأثبت بهذا العمل تقديره للمصلحة القومية ولم يتخذ من رئاسته للجنة موقف المناوءة للوفد عدوه التقليدى ، وهو بهذه الروح عبر عن الروح الدستورية السليمة التى يجب أن تسود بين رجال السياسة فى المسائل القومية مهما تباينت أوجه النظر فيما بينهم فى معالجة قضايا الوطن ٠

البرلمان وعلى ماهر الوزير :

شارك على ماهر فى الاعتداء على الدستور والبرلمان وسعى الى تنفيذ سياسة الملك فؤاد والتى تهدف الى اقصاء الوفد عن الحكم بالاستعانة بوزرات الأقلية ،

---

(١) الأهرام فى ١٦/١٠/١٩٥١ ٠

ولهذا لجأ الملك الى خصوم الوفد لتنفيذ هذه السياسة ، ولم يكن بامكـــان هؤلاء أن ينفذوا هذه المهمة الصعبة التى وكلت اليهم الا باللجوء الى تعطيل البرلمان ۰ ولقد كان على ماهر وزيرا للمعارف العمومية فى وزارة أحمد زيور الثـــانية (١٩٢٥/٣/١٣ ــ ١٩٢٦/٦/٧) وأحد الوزراء الذين وقعوا على مرسوم حل مجلس النواب فى ٢٣ مـــارس سنة ١٩٢٥ ۰ واشـــترك فى وزارة محمد محمود (١٩٢٨ ــ ١٩٢٩) التى عطلت البرلمان وكان وزيرا للمالية ۰ ويذكر لويد أن على ماهر باشا وزير الماليـــة هو أحد هؤلاء الذين لايكلفون أنفسهم مشقة التســــتر عـــلى اعتقـــادهم بضرورة قيـــــام حـــكومة أوتوقراطية ۰ وجاءت المرة الثانية التى وافق عليها على ماهر على تعطيل البرلمان لمدة شهر عندما كان وزيرا فى وزارة اســـماعيل صدقى الأولى (١٩٣٠ ــ ١٩٣٣) ، فقد وقع على الاجراءات التى اتخذها اسماعيل صدقى ضد البرلمان ۰ وعندما كان علىماهر وزيرا للحقانية فى نفس الوزارة ، فانه قدساير الحكومة فى الغاء دستور ١٩٢٣ ووضع دستور ١٩٣٠ الذى ضيق من ســـلطة الأمة ، وسن قانون الانتخاب الذى جعل الانتخاب على درجتين وحصر حق الانتخاب فى أضيق الحدود ، وفى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ صدر أمر ملكى بالغاء دستور

١٩٢٣ وبحل مجلس النواب والشيوخ واعلان الدستور الجديد .

مما سبق يتبين أن على ماهرساهم فى الاعتداء على الدستور والبرلمان وهو الذى مابرح طوال جلسات لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ يدافع بكل ما آوتى من قوة عن حقوق الأمة وقدم مقترحات بناءة هدفها سيادة الأمة وقيام ملكية دستورية وما ان وطات قدمه الحكم فى وزارة أحمد زيور ثم وزارة كل من محمد محمود واسماعيل صدقى حتى تخلى عن المبادىء الدستورية الأصيلة التى دافع عنها وسار فى موكب القصر والطامعين فى الاحتفاظ بكراسى الحكم . فالدستور الذى صدر فى سنة ١٩٢٣ والذى لم يمض على تنفيذه ست سنوات تعرض خلالها للانتهاك آكثر من مرة وانتهى بالغائه واحلال دستور رجعى بدلا منه سنة ١٩٣٠ . والنظام البرلمانى الذى ساد مصر طيلة عهد وزارة سعد زغلول الدستورية الأولى قد تعرض للوقف فى عهد الانقلابات الدستورية الثلاثة واذا كانت «دكتاتورية الأغلبية» الوفدية قد دفعت حكومات الأقلية الى اتخاذ هذا الموقف الخاص بتعطيل الحياة النيابية بحجة المحافظة على مصلحة البلاد وسلامتها ، فقد اتبعت هذه الحكومات آسلوبا

خاطئا ومخالفا للدستور ، وكان من نتيجة هذا الأسلوب أن استخدم خصومها أسلوب العنف فى مقاومة هذا الأسلوب غير الدستورى • ولذا انشغلت الأحزاب السياسية وزعماؤها فى هذه الفترة بخلافاتهم وصراعاتهم الداخلية حول الدستور والوصول الى الحكم ونعمت انجلترا بالفائدة من وراء هذا الصراع الذى أخذت تغذيه وتؤججه •

البرلمان وعلى ماهر رئيس الوزارة :

ألف على ماهو وزارته الأولى فى ٣٠ ينساير سنة ١٩٣٦ ، وأعلن أن الانتخابات البرلمانية ستجرى فى ٢ مايو ١٩٣٦ وقبل اجراء هذه الانتخابات مات الملك فؤاد فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ ، وفى هذه الفترة لم يكن ولى العهد فاروق قد بلغ سن الرشد ، وكان الرأى غير مستقر بالنسبة لتحديد هذه السن للرشد المدنى ، ولم يكن مجلس النواب قد تمت الانتخابات له وكان مجلس الشيوخ منحلا ، ولم يكن موعد انتخابات أعضائه قريبا ، ولم يكن خمساهم قد عينوا بالتالى ، وكان لابد من التوفيق بين ضرورة تعيينهم قبل اجتماع البرلمان وموافقة الأغلبية البرلمانية التى ستكون منها الحكومة الدستورية عن هذا التعيين •

واجه على ماهر ذلك كله يوم وفاة الملك فؤاد ، فنادى بالأمير فاروق ملكا على مصر رغم أنه كان لايزال بعيدا عن مصر حيث كان يتلقى دروسه بلندن ، وقد أتم انتخابات مجلس النواب فى الموعد المحدد ، وقد أجمعت المصادر على أن هذه الانتخابات تمت فى جو يســوده الحرية والنزاهة ٠

وفى ٤ مايو اصدر مجلس الوزراء قــرارا بدعوة البرلمان بمجلسيه للاجتماع يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٦ ، وقد اجتمع البرلمان فى الموعد المحدد ، وفى هذا المؤتمر البرلمانى تلا على ماهر اعــلان وفاة الملك فؤاد ورثاه بكلمة عبرت عن وفاء عظيممنه تجاه الملك الراحلولابنه الملك الشاب ، فأبلغ هيئة المؤتمر المناداة بفاروق الأول ملكا على مصر ، وبعد ذلك تناقش على ماهر مع أعضاء البرلمان بحرية كاملة حول المظروفين اللذين بهما أسماء المرشحينللوصاية على العرش، وقد أبلغ مصطفىالنحاس أعضاء البرلمان اجتماع ممثلى الأحــزاب قبــل المؤتمر واختيارهم للأوصــياء محمد على توفيق وعبد العزيز عزت ومحمد شريف صبرى ، وقد تمت الموافقة من قبل البرلمان على هذا الاختيار ٠

وفى أعقاب حلف الأوصياء لليمين الدستورية ،قدم

على ماهر استقالة الوزارة فى ٩ مايو سنة ١٩٣٦ تاركا الحكم لوزارة الأغلبية البرلمانية برئاسة مصطفى النحاس ·
وهكذا أدى على ماهر عمله بأمانة تجاه البرلمان فقد أسفرت الانتخابات التى آجراها عن ظهور مجلس نيابى منتخب انتخابا حرا معبرا عن ارادة الأمة بعد آن حرمت من الحياة النيابية المعبرة عن ارادتها لمدة زادت عن خمس سنوات

***

واجهت على ماهر مشاكل عديدة عشية تأليفه الوزارة فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، وترجع الى أنه كان شخصية مستقلة ــ فى ذلك الوقت ــ لا ينتمى الى أى حزب من الاحزاب السياسية ، وبالتالى لم تكن له أغلبية برلمانية تؤيده وتسانده فى الحكم · فتشكيله الوزارة على هذا النحو كان اعتماده الأساسى على السراى ، ومع ذلك كان فى حاجة الى تأييد البرلمان لسياسته وكان الوضع فى غاية الصعوبة آمام على ماهر لأن فى مجلس الشيوخ كان الوفد يحظى بما يقرب من نصف الأعضاء ، آما فى مجلس النواب فلم يكن للوفد سوى ١٢ مقعدا ، بينما آحرز الأحرار الدستوريون ٩٩ مقعدا والسعديون ٨٤ مقعدا والباقون من

المستقلين . وكانت العلاقات بين الوفد وعلى ماهر يشوبها العداء ولم يتحول موقف الوفد منه على الرغم من تقربه الى الوفد وبالتالى فان على ماهر كان معرضا لمعارضة قوية من الأعضاء الوفديين فى مجلس الشيوخ . أما الأحرار الدستوريون فلم ينسوا مناورات على ماهر رئيس الديوان الملكى ومعاكساته لهم أيام وزارة محمد محمود وعلى الرغم من موقفهم المعلن منذ البداية بالتعاون مع الوزارة الا أنهم اتخذوا بوجه عام موقف المعارضة بهدف اسقاط الوزارة . أما السعديون فكانوا شركاء على ماهر فى الوزارة ، ومع ذلك لم يكن تأييدهم لسياسته مطلقا وكذلك لم يكن تأييد المستقلين له كاملا .

من هذا يتبين مدى ضعف موقف على ماهر أمام البرلمان وبالذات بعد أن تخلى الأحرار الدستوريون عن الاشتراك فى الوزارة ، ولم يكن أمام على ماهر غير وسيلتين لحل هذا الموقف أولاهما : تتمثل فى حل البرلمان واقامة دكتاتورية بزعامة على ماهر ، أما الوسيلة الثانية : فتتجلى فى مواجهة البرلمان ودخول حلبة الصراع ضد المعارضة ، ولقد آثر على ماهر الوسيلة الثانية ، وربما يرجع ذلك الى ادراكه التام لخطورة

الانقلابات الدستورية التى سبق أن شارك فيها ، وماكانت تسببه من أضرار على مصلحة المجتمع ، وغير ذلك سوء واضطراب الأوضاع الدولية نتيجة لقيام الحرب وحرص بريطانيا على هدوء الأوضاع الداخلية بمصر يضاف الى ذلك خشية ماهر من معارضة شركائه فى الوزارة السعديين فى حل البرلمان ٠ ومن أجل مواجهة البرلمان استحدث على ماهر منصبين وزاريين للشئون البرلمانية عين فيهما محمد على علوبة لشئون مجلس الشيوخ وابراهيم عبد الهادى لشئون مجلس النواب ٠

***

لم يكن اعتقال على ماهر فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٢ ـ بأمر مصطفى النحاس الحاكم العسكرى العام بناء على أوامر السلطة البريطانية ـ أول محاولة لاعتقاله ، فمنذ أن خرج من الوزارة ورئاسة الديوان الملكى فى يونيه ١٩٤٠ نتيجة لضغط السلطة الانجليزية على الملك فاروق ٠ فان هذه السلطة لم تكتف بابعاده عن العمل الرسمى فحسب ، بل سعت الى تقييد حريته وشل نشاطه اعتقادا منها بأنه يشكل خطورة لما يبثه من أقاويل فى الأوساط التى يتحرك بينها ولاسيما بين شباب الجامعة ٠

واعتقال حكومة النحاس لعلى ماهر كان فيه اعتداء صريح على الدستور ، هذا الدستور الذى لم يوجد لحماية الوزارة وانصارها ، بل لحماية المصريين جميعا وحماية من يعتبرون خصوم الحكومة خاصة ، ولم يكن انتهاك وزارة الوفد لحصانة على ماهر عضو مجلس الشيوخ آنها فتشت منزله فحسب ، بل فعلت آكثر من ذلك ، اذ اعتقلته وهو بداخل مجلس الشيوخ • وقد عارض حكومة الوفد فى اقدامها على هذا العمل كل من النائبين الوفديين محمود سليمان غنام وعبد الحميد عبد الحق وطالبا بالافراج عن على ماهر آو تأمين حياته بنقله من معتقله بالصحراء الغربية الى مكان بعيد عن العمليات الحربية •

ولم يخرج على ماهر من المعتقل الا بعد آن تولى أخوه الدكتور أحمد ماهر رئاسة الوزارة ، وقد آبلغ ايدن أحمد ماهر موافقة الحكومة البريطانية على اطلاق سراح شقيقه بشرط أن يضمن سلوكه ، ونتيجة لهذا الشرط تم الافراج عن على ماهر ، وبمجرد اطلاق سراحه سافر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٤ الى القصر الأخضر حتى يكون بعيدا عن بؤرة الأحداث السياسية بالقاهرة •

***

ترتب على حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ اقالة الملك فاروق لوزارة الوفد وتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة الجديدة ، وكانت خطة السراى ترمى الى اذلال الوفد عن طريق حل البرلمان الممثل للأغلبية الوفدية ، وبدء حركة تطهير واسعة النطاق فى حزب الوفد ، ولكن على ماهر لم يكن من هؤلاء الوزراء الذين ينساقون بسهولة وراء القصر ، بل كان رجلا يسعى حقيقة الى تحقيق مطالب الأمة وكانت المشكلة العويصة أمامه عشية تأليفه للوزارة حل المسألة المصرية عن طريق اجراء مفاوضات مع انجلترا ٠

وكان على ماهر يدرك أن اجراء المفـــاوضات مع بريطانيا يستلزم وحدة الأمة وقوتها ، ولما كان رجلا مستقلا ليست له أغلبية فى البرلمان تؤيده أراد أن يبدأ المفاوضات وظهره محمى ببرلمـــان الوفد ، ولهذا زار مصطفى النحاس بمنزله في اليوم التالى لتشكيل الوزارة ، وأعلن النحاس أن البرلمان الوفدى سيمنح الثقة للوزارة الجديدة ، وأعلن على ماهر فى البرلمان أن سياسته ستكون استمرارا لسياسة الوزارة السابقة ، وفى هذا الصدد قال كلمته المشهورة « ان سياستى ستكون اســتمرارا لسياسة سلفى العظيم (مصطفى النحاس) » ٠

ولكن العلاقة الودية لم تستمر طويلا بين على ماهر وأعضاء البرلمان وفى اليوم المحدد لبدء المباحثات التمهيدية بين على ماهر والسفير البريطانى نشر مرسوم تأجيل مجلس النواب فى الصحف وقيل ان مجلس الوزارة اجتمع واقره بالاجماع • والحقيقة تخالف هذه الأخبار تماما ، والمسألة أن هناك تدبيرا تم بين القصر ووزير الداخلية أحمد مرتضى المراغى ووزير المالية الدكتور محمد زكى عبد المتعال على عرقلة عمل رئيس الوزراء لاجباره على تقديم استقالته فأمر وزير الداخلية بنشر مرسوم حل البرلمان بدون علم على ماهر •

وهكذا وضعت السراى عن طريق رجالها في الوزارة على ماهر فى مأزق ، وأمام اعتذار السفير البريطانى عن بدء المباحثات وهى الوسيلة التى علق على ماهر آماله لحل القضية المصرية ونشر مرسوم حل البرلمان نكاية فى الأغلبية الوفدية وهو ماكان يعارض هذا الاجراء مادام البرلمان لم يعرقل عمل الوزارة ، قدم على ماهر استقالته وبذلك تمت ازاحته بعد أن أدى دوره فى تهدئة الموقف وعودة الأمن ، وجاء الملك بوزارة أحمد نجيب الهلالى لتلبى رغباته فى اذلال الوفد فبادر باصدار مرسوم فى ٢ مارس سنة ١٩٥٢ بتأجيل البرلمان

لمدة شهر ، وفى ٢٤ مارس تم اصدار مرسـوم بحـل مجلس النواب ودعوة الناخبين لانتخاب جديد فى ١٨ مايو ١٩٥٢ ، عـلى أن يعقد البرلمان الجـديد فى ٣١ مايو . وهكذا عطـل البرلمان وبدآت الأحداث تتلاحق بتغير الوزارات نتيجة لسوء الأوضاع ، وقد وضع حد لهذه الأحـداث حركة الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليه ١٩٥٢ التى انتقلت بمصر من عهد الى عهد جديد .

على ماهر رئيسا للديوان الملكى

ضمت السراى الملكية ثلاثة دواوين رئيسية هى : الديوان الملكى العالى ، وديوان كبير الأمناء ، وديوان الخاصة والأوقاف الملكية . وكل من هذه الدواوين قائم بذاته منفصل عن غيره . ويتبع كل منها ادارات عدة ، ويعتبر منصب رئيس الديوان الملكى من المناصب خطيرة الشأن لأن رئيسه يكون بمثابة همزة الوصل بين القصر والوزارة ودار المندوب السامى (السفارة البريطانية فيما بعد) ، ومن ناحية أخرى يعد المستشار الأول للملك . ولقد تولى على ماهر رئاسة هذا الديوان فترتين فى عهد كل من الملك فؤاد وفاروق ، وخلالهما لعب دورا فى توجيه سياسة القصر ولاسيما فى عهد الملك فاروق .

الفترة الأولى (يوليه ١٩٣٥ - يناير ١٩٣٦) :

عندما ساءت الأوضاع فى مصر عقب تأليف وزارة محمد توفيق نسيم (١٤/١١/١٩٣٤-٣٠/١/١٩٣٦)

وفشل رئيس الديوان أحمد زيور فى تحسين العلاقات بين القصر والحكومة والأمة ، جرت اتصالات مع على ماهر لينقذ الموقف ، وكان من نتيجة هذه الاتصالات أن قبل على ماهر فى أول يوليه ١٩٣٥ منصب رئاسة الديوان الملكى • ولم يقتصر دور على ماهر خلال رئاستة للديوان على القيام بالعمل الروتينى لهذا المنصب ، بل دخل وفى ذهنه خطة أعدها بهدف جعل القصر الملكى مفتوحا لجميع المصريين مفضلا ابعاده عن النزعات والخلافات الحزبية ، فأعرب على ماهر للملك فؤاد عن أن الحل العملى لتحسين الوضع بين القصر والأمة أن يكون الملك على استعداد للتعاون مع جميع كبار رجال الدولة مهما تباينت اتجاهاتهم الحزبية ناسيا ما حدث بينه وبين بعض هؤلاء الزعماء ووافق الملك فؤاد على وجهة نظر على ماهر •

وعقب هذا الاتفاق أخذ على ماهر يتصل بجميع الزعماء وكان فى مقدمة الذين قابلهم رئيس الوزارة توفيق نسيم ورئيس حزب الوفد مصطفى النحاس وغيرهما من مختلف النزعات والاتجاهات لاستشارتهم فى السياسة العامة للدولة • واستقبل على ماهر كذلك العديد من رجال الصحافة على اختلاف مشاربهم ممن

كانوا على علاقــة ســيئة بالقصر مثــل محمود عزمى وعباس محمود العقاد بهدف التشاور حول دور الصحافة فى تدعيم أواصر الثقة بين الأمة والعرش ٠

وقد عرض على مــاهر على رئيس مجلس الوزراء برنامجا سماه « برنامج توزيع الاختصاص » وقد استعان بمعارفه القــانونية فى تحــديد اختصاصات الوزارة والقصر لعدم وقوع نزاع بينهما وركز على ماهر حججه فى هذه الخطة على أساس أن مصر بغير دستور والسراى تملك وتحكم فى آن واحد ومن ثم فهى تشاطر الوزارة على الأقل فى وضع الحلول للمسائل الشــائكة واقتراح المشروعــات ومــادامت الوزارة القــائمة لاتســتمد ســلطاتها من البرلمان ، فيجب على كل حال أن تســتمد ســلطتها من رأس الدولــة ، وطــلب على مــاهر من توفيق نسيم أن يمده بالمعلومات عما يدور بين الحكومة والحكومــات الأخرى ــ وفى مقدمتها بريطانيــا ــ فى حينها ، ليســتطيع بدوره أن يدرس التطورات ويرفع رأيه الى جلالة الملك ٠

أما فيما يتعلق بدار المندوب السامى البريطانى ، فقد نجح فى أن يكون بمثابة همزة الوصل بين الملك فؤاد ودار المندوب السامى ، وتوثقت العلاقات بينه وبين

دار المندوب السامى على أسـاس من الاحترام المتبادل لخدمة المصالح المشتركة للبلدين ·

وهكذا مهد على ماهر الطريق لاستقرار الأمور فى مصر فأعاد الثقة بين الملك والزعماء المصريين ووضع أسسا واضحة لعلاقته بوزارة نسيم باشا وأقام علاقـة طيبة مع دار المندوب السامى البريطانى ·

ولم يكتف على ماهر باقنـاع الملك فؤاد أن يغمـد سيفه وينسى خلافاته الشخصية والعداء الذى كان يكنه لبعض الزعماء ، بل أقنعه قبل وفاته بشـهور قليلة أن يصـدر بيانا وطنيا الى الأمة وآن يؤيد الجبهـة المتحدة للأحزاب وقد استجاب الملك لهذه الرغبة وأصدر هذا البيان فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥ ، وهكذا تحسنت صورة الملك فى آخر أيامه ·

الفترة الثانية (أكتوبر ١٩٣٧ ـ أغسطس ١٩٣٩) :

أصـدر الملك فؤاد فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ قرارا بتعيين عـلى مـاهر رئيسـا للديوان الملكى ولم يستشر مصطفى النحاس رئيس مجلس الوزراء فى هذا التعيين ، بل ضرب عرض الحائط بجميع الأسـماء التى رشـحها النحاس لتولى هذا المنصب · وكان اقدام الملك الشـاب

الذى لم يمر أكثر من ثلاثة أشــهر على توليه سـلطته الدستورية كاملة على هذه الخطوة بداية سيئة لتدهور العلاقة بينه وبين الوفد بسبب تعيينه على ماهر فى هذا المنصــب ، بينما كان رئيس الحكومة يرى أنه ليس من الصــالح العام تولى على ماهر هذا المنصب نظرا لعدائه للوفد وخشية وضع العقبات من جانبه أمام الحكومة مما يجعل مهمتها صعبة فى أداء الحكم ، ورغم الزوبعة التى أقامها النحاس حول مجافاة هذا التعيين للروح الدستورية الا أنه رضخ للأمر الواقع ٠

وما أن وطأت قدم على ماهر فى منصبه الجديد حتى بدأ يكثف نشــاطه ضــد الوزارة الوفدية ففتح أبواب السراى على مصاريعها لقبول أى شكوى أو مظلمة ضد حكومة الوفد ٠ وكان يستحث هذه الشــكاوى والمظالم ويدفع الناس الى تقديمها ، ثم يجابه بها حكومة الوفد ، ولم تكن حكومة النحاس تصادر جريدة الا ويلاحظ عليها هذه المظالم ٠

واستمر على ماهر فى سياسة الاســاءة الى الوزارة من تعطيل للمراسيم التى ترســلها الحكومة الى القصر للامضاء من الملك ، ورفض كثير من طلباتها ، والتهجم على مصطفى النحاس ووزارته فى الصحف الموالية للقصر

وبالذات فى جريدة البلاغ بايعاز من على ماهر .

وقد بلغ الخلاف مداه بين القصر والوزارة خلال شهر ديسمبر ١٩٣٧ حول نوعين من المسائل : النوع الأول يتعلق بأهم المبادىء الأساسية فى الدستور التى تدور حول حقوق العرش والأمة ، والنوع الثانى يتعلق بالخلاف حول المواقف التى اتخذتها الوزارة الوفدية مثل انشاء فرق القمصان الزرق ومحاولة شل نفوذ الملك على الجيش المصرى . وقد أبدى على ماهر رأيه بأن تكون الكلمة النهائية للملك فى تعيين كبار الموظفين وفى تقديم مشروعات القوانين للبرلمان وفى منح الرتب والنياشين لرجال الدولة وتعيينات رجال السراى .

وأمام فشل جميع مساعى على ماهر لحل آزمة الخلاف، سعى الى تدعيم سلطة الملك الشاب فأخذ ينتزع له حقوقا جديدة تزيد من سلطته . وفتح عين الملك الشاب على مسألة خطيرة تمثلت فى ضرورة « اقالة الوزارة الوفدية » ، ورأى على ماهر استخدام حق الملك الدستورى فى اقالة الوزارة وقام بنفسه بكتابة خطاب اقالة الوزارة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ . وهكذا تمت اقالة حكومة الوفد بطريقة مهينة على يد الملك الشاب بتوجيه من رئيس الديوان على ماهر الذى ضرب عرض الحائط

برغبة السـفير البريطانى فى بقاء حكـومة الوفد فى الحكم ٠

وتثير مسالة اقالة وزارة مصطفى النحاس فى أواخر ديسمبر عام ١٩٣٧ الى التسـاؤل عمن تقع على عاتقه مسئولية هذه الاقالة ٠ واجابة على ذلك نقول أن هذه الاقالة يتحمل مسئوليتها أطراف عدة ، ولايمكن القاء تبعتها على فرد واحد ، فعلى ماهر يعتبر المسئول الأول عن هذه الاقالة ، لأنه سعى الى توسيع سلطات الملك على حساب الأمة ليظهر أمامه بمظهر الرجل المخلص الذى يحافظ على حقوقه ، وهذه السياسة التى اتبعها علىماهر كانت تهدف الى الاستحواذ على قلب فاروق حتى يصل الى الحكم بمساندته ، ومما لاشك فيه أنهذه السياسةأفرزت نتـائج خطيرة تمثلت فى فتح عيون الملك على سياسـة التحدى واقالة الوزاراتوتعطيل البرلمان ، تلكالسياسة التى اكتوى بنيرانها حزب الأغلبية وأحزاب الأقلية وعلى ماهر نفسه عندما تغيرت عواطف الملك تجاهه فيما بعد، وشرب من نفس الكأس التى أعدها للنحاس عندما أقاله الملك من رئاسـة الوزارة بطريقة أكثر اهانة فى أول مارس ١٩٥٢ ٠

وتعد حكومة الوفد مسئولة بتصرفاتها عن تمهيد

الطريق لاقالتها فلقد فهم النحاس وحزب الوفد أن الملك فاروق شاب صغير السن يمكن احتواؤه ووضعه فى جيبه ، ولكن الحوادث أثبتت أنه شاب ليس من السهولة السيطرة عليه وبدلا من أن تأخذ حكومة الوفد حذرها من خصمها اللدود على ماهر أقدمت على أعمال وتصرفات مثل تشكيل فرق القمصان الزرق التى ضج منها الجميع بسبب أعمالها الارهابية ، وكان لخروج النقراشى وأحمد ماهر من الوزارة وغيرها من الأعمال التى سببت ضعف هيبة حزب الوفد أن استغل على ماهر هذه الأخطاء ببراعة لصالح القصر وعندما تقدم باقتراح لمصطفى النحاس حول تشكيل « مجلس العرش » يكون بمثابة هيئة تحكيم لتحديد اختصاصات القصر والوزارة رفض النحاس هذا الاقتراح ، ومن ثم فانه أعطى للقصر الفرصة لاقالة حكومته ٠

ويعتبر الملك فاروق نفسه أحد المسئولين عن هذه الاقالة فقدكان متشبعا بحكم نشأته بالروح الأوتوقراطية وتأصلت هذه النزعة فى نفسه لدرجة أن على ماهر المعروف عنه بأنه صاحب النفوذ عليه أصبح فاروق لا يهابه ولا يخشاه ٠ ونتيجة لمواقف النحاس التى لم تكن تلبى طلباته ترسب فى نفسه كراهية له وأحس أنه

يشكل خطورة على عرشه ولذا فقد كانت لديه استجابة لسماع آراء على ماهر والشيخ مصطفى المراغى وغيرهما من رجال القصر في ضرورة التخلص من وزارة النحاس ٠

***

وفى نفس اليوم الذى أقيلت فيه وزارة الوفد ، تم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، وهذا الأمر يدعونا الى الاستفسار عن أسباب عدم اقدام على ماهر على تشكيل الوزارة رغم أطماعه الواضحة فى السعى للوصول الى كرسى الوزارة ولم يكن منصب رئاسة الديوان الملكى له سوى مرحلة انتقالية ٠ ويمكن القول أنه كان من الممكن أن يؤلف على ماهر الوزارة عقب اقالة وزارة النحاس ، ولا سيما وأنه كان متمتعا بثقة الملك ، ولكن على ماهر لم يحاول أن يرشح نفسه فى هذه الآونة ، فقد كان يخشى أن يعقب اقالة النحاس حوادث اضطراب فى حالة الأمن بسبب فرق القمصان الزرقاء ، والدليل على ذلك أنه قبل اعلان مرسوم اقالة وزارة النحاس بيومين اتصل على ماهر بوكيل وزارة الداخلية وحكمدار البوليس ومدير الأمن العام واتفق معهم على أن يكونوا مستعدين للطوارئ بمجرد اعلان مرسوم اقالة النحاس ، وقد

استجاب رجال الادارة لهذا الطلب واستعدوا لكل شيء ، وعند ذلك تم اذاعة مرسوم الاقالة والى جواره مرسوم تأليف الوزارة الجديدة ·

وان دل هذا الموقف على شيء فانما يدل على أن على ماهر كان يخشى وقوع فتن عقب اقالة الوزارة الوفدية ومن أجل ذلك أحجم عن تولى الوزارة فى هذه المرحلة المضطربة حيث كان الوفد مازال لديه بقية من القوة والأحزاب الأخرى تطمع فى الوصول الى كراسى الوزارة ، ولذا آثر الانتظار مؤقتا لتحقيق آمله فى الوصول الى رئاسة الوزارة · ورسم على ماهر سياسته الجديدة على أساس ضرب الوفد بوزارة تضم فيها كل رؤساء الوزارات الذين سبق لهم تولى الحكومة والذين يرأسون الأحزاب ، فيحطم بذلك الوفد عن طريقهم وينهك الوفد قواهم بمحاربته وبعد حين سرعان ما يسقط الطرفان صرعى فلا يكون هناك سوى على ماهر ليدعى للحكم بغير منازع . وقد آيد على ماهر فى هذه الخطة جماعة مصر الفتاة ·

ولم يترك على ماهر وزارة محمد محمود الجديدة لتقوم بتنفيذ برنامجها فى الحكم ، بل دخل فى صراع طويل مع رئيس الحكومة وشجع جماعة مصر الفتاة على

الهجوم العنيف على الوزارة ووصفها بأنها وزارة تتصف بالخمول وعدم النشاط · وقد أكدت جريدة مصر الفتاة أن الوزارة القادمة ستكون برئاسة على ماهر وأنها ستكون وزارة قومية لها برنامج قوى تشرع فى تنفيذه فورا ·

وأمام تدهور صحة محمد محمود وعدم قدرته على العمل قدم استقالة وزارته فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ الى الملك ، وبذلك انفسح الطريق آمام على ماهر لكى يؤلف الوزارة التى طالما سعى للوصول اليها ·

على ماهر فى السلطة وزيرا ورئيسا للوزراء

شغل على ماهر عدة مناصب وزارية مختلفة خلال الانقلابات الدستورية الثلاثة التى وقعت فى سنوات ١٩٢٥ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ ، ثم رأس الوزارة المصرية لعدة مرات أخرى ، ويظهر نشاطه فى العمل التنفيذى من خلال دراسة موقعه فى السلطة وزيرا ورئيسا للوزراء ٠

على ماهر وزيرا للمعارف العمومية (١٣ مارس ١٩٢٥ ـ ٧ يونيه ١٩٢٦) :

تولى على ماهر وزارة المعارف فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٥ وكانت آثار الاحتلال البريطانى مازالت جاثمة على صدر التعليم المصرى ، على الرغم من صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وصدور الدستور المصرى سنة ١٩٢٣ الذى شعر مشرعوه بأن الحياة السليمة لا تتحقق الا بنشر التعليم ٠ وقد بدأت خطوات وئيدة

في مجـال التعليم ولكنها كانت تتسـم بالجزئية وعدم الشمول ·

وعندما عين على ماهر وزيرا للمعارف قلب البرامج التعليمية رأسا على عقب اعتقادا منه بأن درجات التعليم يغذى بعضها بعضا ، ولهذا فضل العمل على اصـلاحها دفعة واحدة ·

وقد سار على ماهر فى طريقه حتى آتم برنامجه ، فبعد أسـبوع من توليه الوزارة أصـدر قرارا وزاريا لبحث نظام مراحل التعليم وخطط الدراسـة المناسـبة والمناهج التفعيلية لهذه الخطط وأوكل هذه المهمـة الى ثلاث لجان للتعليم الابتدائى والثانوى وتعليم البنات · على أن تجتمع مقدما اللجان الثلاث فى لجنة عامة واحدة تحت رئاسـته لبحث المبادىء الأسـاسية وعـلى الأخص المسائل الآتية :

١ ــ رياض الأطفال

٢ ــ التعليم الابتدائى

٣ ــ التعليم الثانوى

٤ ــ اللغات الأجنبية

٥ ــ وسائل التربية الاستقلالية والوطنية والخلقية ·

وبعـــد تقـــرير المبـــادىء الأســاسية تجتمع اللجان الثلاث لوضع خطط الدراسة على أن تجتمع اللجنة العامة بعد انتهــاء أعمــال اللجــان الثــلاث للنظر فى المشروعات المقدمة . وبعد اقرار خطط الدراسة تؤلف لجان توعية لوضع المناهج المفصلة لهذه الخطط فى كل نوع من أنواع التعليم وفى كل مادة من مواده .

وقد عقدت اللجنة العامة التى ألفت لتنقيح نظام التعليم العام ومناهجه فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٥ أول اجتماع برئاســة على ماهر وتحدث فى هذا الاجتمــاع حول المبادىء العامة لاصــلاح التعليم وعن سعيه لجعل تعليم البنات فى مستوى تعليم الصــبيان مع المثابرة على التوسع فى المواد الخاصة بالنساء حتى باستبدال مناهج جديدة بالمناهج القديمــة الناقصــة ، مع تنظيم الادارة المركزية حتى تكون قادرة على تنفيذ سياسة الاصــلاح والاهتمام بايفاد البعوث الى آوربا وآمريكا مع تشجيع حركة الترجمة والعناية بدور الكتب والاستفادة بخبرات وأبحاث رجال التعليم .

وانكبت هذه اللجان الثلاث على العمل ، وفى أقل من أربعة أشــهر انتهت من آداء عملهــا بحيث نشرت القوانين واللوائح الجديدة الخاصة بنهضــة التعليم فى

٢٢ مايو سنة ١٩٢٦ ، ولعل الفضل فى سرعة انجاز هذه القوانين يرجع الى على ماهر لما تمتع به من همة ونشاط وحزم ، وتناوله برامج التعليم فى فرنسا وانجلترا وبلجيكا وغيرها بالدراسة والتمحيص والافادة منها فى نفس الوقت .

ولم يقتصر على ماهر على التعليم النظرى فحسب ، بل امتد الى التعليم الفنى . ولكن خطواته فى هذا الميدان كانت بطيئة ، ولعل القصور فى التعليم الفنى راجع الى أن اللجان التى اختصت بتطوير التعليم كانت مقصورة على التعليم النظرى فقط ، ولم يكن بين أعضائها أحد من المختصين بشئون التعليم الفنى .

وامتدت يد على ماهر الاصلاحية الى الجامعة المصرية فاستكمل خطوات الوزارة السابقة فى ضم الجامعة الأهلية الى وزارة المعارف ، وقد عول على الاستعانة بطائفة من أساتذة الغرب الذين خبروا نظم الجامعات ووقفوا على أسرارها .

وبعد أن انتهى وزير المعارف واللجان المختصة بتطوير التعليم من اعداد الخطة ، كان عليه أن يسير فى أحد طريقين عند التنفيذ ، أحدهما اصطناع التمهل

والأناة والحذر والحيطة ، واما أن يمضى فى التنفيذ بسرعة كما فعل فى حالة التشريع ، ولكن آثر وزير المعارف الطريق الثانى ، وسعى لدى مجلس الوزراء فاعتمد مبلغ ٦٦٤و٠٩١و٢ جنيه لميزانية عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ ، وقد زادت ميزانية وزارة المعارف هذا العام بما يقرب الضعف عن ميزانية عام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ، التى بلغت ٤٢٩و٥١٨و١ جنيه وترجع هذه الزيادة الى تنفيذ برنامج وزير المعارف ، فقد قرر التوسع فى التعليم الالزامى وهو نظام جديد من أساسه ويحتاج الى مصروفات كثيرة ، بالاضافة الى ادخال اللغة الفرنسية وتعليم الموسيقى والتصوير والرسم والتعليم بالسينما والأعمال اليدوية ، وتشجيع حركة ترجمة الكتب والتأليف وانشاء مكتبتى كلية الآداب وكلية العلوم وانشاء مدرسة طب الأسنان وبناء مدرسة ثانوية لتحضير البنات لشهادتى الكفاءة والبكالوريا وانشاء أربع مدارس ابتدائية للبنات فى القطر وانشاء مدرسة روضة الأطفال وزيادة سنوات الدراسة بالمرحلة الابتدائية الى خمس سنوات بدلا من أربع وكذلك الثانوية حتى يتمكن الطلاب من دراسة المواد المتعددة دراسة دقيقة .

وللأسـف فان اصلاحات على ماهر قوبلت بالجحود والنكران من جانب مجلس النواب ذى الأغلبية الوفدية سنة ١٩٢٦ ، فقد شكل لجنة برلمانية للتحقيق معه فيما أقدم عليه من أعمال فى وزارة المعارف .

وهذا البرنامج لم يكن يعوزه سوى التأنى وعـدم السرعة فى التنفيذ ولعل سرعة على ماهـر فى التطبيق ترجع الى فهمه لمجريات الأمور السـياسية فى مصر . فهو يدرك أن عمر الوزارات قصير وآن آراء الوزراء لاتتفق فهم أقـرب الى التحارب والتخـاصم منهم الى التعاون وهذا الخلاف يهدم مابناه السلف آو يهمله ومن هنا كان تعجله لأمر الاصلاح .

على ماهر وزيرا للمالية (٢٥ يونيه ١٩٢٨ ـ ٢ أكتوبر ١٩٢٩) :

عندما تولى عـلى ماهر وزارة المالية امتد نشاطه ليشمل نواحى العمل فيها جميعا ، فبادر بربط ميزانية الدولة للسـنة المالية ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ وتقـرر فيها مصروفات الدولة بمبلغ (٥٢٠و١٧٠و٤٠ جنيه مصرى)، فى حين قدرت ايرادات الدولة بمبلغ (٠٠٠و٥٣٢و٣٧ جنيـه مصرى) عـلى آن يؤخـذ الفرق بين الايرادات

والمصروفات وقدره (٢٫٦٣٨و٠٥٢ ج م) من المال الاحتياطى ،لسد العجز بين الايرادات والمصروفات الناتج معظمه عن شروع الدولة فى تنفيذ أشغال عمومية خصوصا فى مجال الرى .

وحرصا من على ماهر على اتخاذ قرارات سليمة فيما يختص بالشئون الاقتصادية والمالية نظرا لكثرتها ، أصدر قرارا وزاريا رقم «٥٧» لسنة ١٩٢٨ بتأليف لجنة فنية بوزارة المالية لبحث هذه المسائل تمهيدا لأن ترفع هذه الأبحاث اليه .

واتخذ على ماهر قرارين هامين بهدف تحسين الشئون الزراعية وتوفير المال اللازم للطبقات الزراعية الفقيرة والمتوسطة لنقيام بحاجاتهم الزراعية ، فالقرار الأول خاص « بانشاء احتياطى زراعى » ، أما القرار الثانى فهو خاص « بنظام تسليف صغار الملاك والمزارعين وقد حددت سعر الفائدة لهم بنسبة ٥٪ بينما خفضت الى نسبة ٣٪ على السلفيات الممنوحة للجمعيات التعاونية لاقراضها لأعضائها بحيث لا تزيد نسبة الفائدة فى حالة الاقراض من الجمعية لأعضائها عن ٤٪ ، ويمكن القول أن هذا القرار كان خطوة طيبة لحماية الفلاح الصغير من جشع المرابين والبنوك العقارية ، فضلا عن تنشيط

الجمعيات التعاونية ونشرها فى القطر وزيادة أعضائها بتخفيض سعر الفائدة بالنسبة لها الى ٣٪ فقط » ٠

وقد اهتم على ماهر بمسألة القطن ، ونظرا لعدم توفر كل الشروط اللازمة لحسن سير الأعمال فى لوائح البورصات ، فقد قرر تأليف لجنة خاصة لمراجعة وتعديل نظم البورصات المختلفة للأقطان والأوراق المالية ٠ وقد أنشأ على ماهر مكتبا للقطن مهمته الأولى استجماع المعلومات المختلفة الخاصة بالقطن ٠

وأدرك على ماهر أهمية «مصلحة التجارة والصناعة» فقرر النهوض بها بعد أن تبين له عجزها عن القيام بمهامها لعدم وجود ادارة فعالة للقيام بعمل المباحث الصناعية والتجارية بغية ايجاد صناعات أهلية غير موجودة وترقية الموجود منها ، ولذا رفع ميزانية هذه المصلحة الى (١٩٠و٠٠٠ ج م) لتنظيم المصلحة من جديد من أجل تقديم المساعدة للمصانع والغرف التجارية ، وفى نفس الوقت تكون نواة لوزارة خاصة فى المستقبل ٠

ورغبة فى تشجيع الصناع المصريين على توسيع أعمالها ولتمكين هذه المصنوعات من مزاحمة مثيلاتها فى الأسواق الخارجية أعفى على ماهر الكثير من صادرات

مصر الى الخارج من رسوم التصدير ورسوم الرصيف على أن يسرى هذا الاعفاء على المصنوعات المصرية سـواء أكانت مصـنوعة من خامات تنتجهـا البلاد آم خامات تستوردها ٠

وحول سياسة فرض الضرائب آعلن على ماهر أنه ليس من أنصار فرض الضرائب الفادحة ، ولهذا فاذا قررت ضرائب فستكون خفيفة الغـرض الأصـلى فى تقديرها توزيع الضرائب بالعدل فى البـلاد ، أما عن تطبيقها فلن يتم الا بعد تمام المفاوضات مع الدول ذات الامتيازات فى شأنها ٠ ولعل هذا التصريح يمهد السبيل لالغاء الامتيازات الأجنبية فى النواحى المالية واعطاء الأجانب نوعا من الأمان عن سياسة الوزارة بصدد مسألة الضرائب وفى نفس الوقت حرص على كسب ود كبار الملاك الذى تمثلهم الحكومة بنسبة كبيرة ممن ينتمون الى حزب الأحرار الدستوريين ٠

عـلى ماهر وزيرا للحقانيـة (١٩ يونيـه ١٩٣٠ ـ ٤ يناير ١٩٣٣) :

تولى على ماهر وزارة المعارف عند تشكيل وزارة اسماعيل صدقى فى ١٩ يونيه سنة ١٩٣٠ ولم يمكث

طويلا فى هذه الوزارة اذ أنه نقل الى وزارة الحقانية (العدل) فى شهر يوليه ١٩٣٠ عندما أدخل تعديلا وزاريا محدودا فى هذه الوزارة ·

كان فى مقدمة ما فكر فيه على ماهر من أوجه الاصلاح التشريعية بحث مسألة اعادة الاعتبار نظرا لخلو التشريع الجنائى المصرى من النص على أحكام بشأن هذه المسألة · وأسوة بما هو متبع فى التشريعات الحديثة برد الاعتبار اما بحكم القانون أو بحكم القضاء فقد آثر على ماهر ادخال اعادة الاعتبار القضائى فقط فى التشريع المصرى · وبمقتضى ذلك صدر القانون رقم ٤١ لسنة ١٩٣١ بشأن اعادة الاعتبار · وبصدور هذا القانون فقد أزال الغبن الواقع على هؤلاء الأفراد الذين ظلوا لفترة طويلة فى جسم المجتمع المصرى أعضاء مشلولة من الوجهة الأدبية ، نظرا لحرمانهم مما لغيرهم من الحقوق السياسية والمدنية ، وفى نفس الوقت أفاد المجتمع باندماج هذه الفئة فى المجتمع بعد أن تابوا وحسنت سيرتهم وأقاموا الدليل على ذلك ·

وامتدت يد على ماهر الى الأخذ بفئة أخرى تتمثل فى « الأحداث المجرمين » حتى يشبوا مواطنين صالحين لاعتقاده أنهم ضحايا التفكك الأسرى والمجتمع ، فتقدم

الى مجلس الوزراء بقانون حول تعديل قانون العقوبات الأهلى بشأن المجرمين الأحداث .

وحرصا من على ماهر على صحة تطبيق القانون تقدم لمجلس الوزراء بمذكرة حول استحداث محكمة جديدة للنقض والابرام ، وقد صدر مرسوم بقانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٣١ بانشاء هذه المحكمة . وأعتقد أن ظهور هذه المحكمة خدم المتقاضين والقانون فى نفس الوقت . على أساس أن هذه المحكمة توجد على قمة الجهاز القضائى وهى تختص برقابة صحة تطبيق القانون دون التعرض للمسائل التى تعتبر من قبيل الوقائع ، وتقوم أيضا بدور هام فى مجال توحيد واستخلاص القواعد القضائية ، وكان انشاء هذه المحكمة يشكل بداية طيبة لتنمية استقلال القضاء المصرى .

وامتدت يد على ماهر الاصلاحية الى المحاكم الشرعية ، فقد قدم لائحة جديدة بدلا من اللائحة القديمة والاجراءات المتعلقة بها الصادر بها الأمر العالى فى ٢٧ مايو ١٨٩٧ والقوانين المعدلة لها ، واستهدف على ماهر من وراء تغيير هذه اللائحة ازالة أسباب الشكوى العديدة من المتقاضين .

وشمل على ماهر بعنايته أيضا «المجالس الحسبية» ، فأصدر فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٥ ـ عندما كان وزيرا للحقانية بالنيابة ـ مرسوما بقانون خاص بترتيب المجالس الحسبية ٠

ولم يقتصر على ماهر فى اصلاحاته الناحية التشريعية فحسب ، بل امتد ليشمل مهنة المحامين للارتفاع بمستواها ، فقد درس ما اتخذته نقابة المحامين ومحكمة الاستئناف حول تعديل بعض المواد من لائحة الاجراءات الداخلية للمحاكم المختلفة وقام بادخال بعض التعديلات عليها تمهيدا لصدور قانون بها، وكانت هذه التعديلات تناسب الحاجة الحقيقية التى يقتضيها تطور الأحوال الطبيعية فى النقابة ٠

وفى نفس الوقت اهتم على ماهر برجال القضاء ، فجعل الترقيات والتنقلات بين القضاء والنيابة على نظام يتسم بالعدل ولا محل فيه للشكوى ، وحرص على المحافظة على كرامة القضاة واستقلالهم ٠

على ماهر رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والداخلية (٣٠ يناير ١٩٣٦ ـ ٩ مايو ١٩٣٦) :

كلف الملك فؤاد على ماهـر بتشـكيل الوزارة فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ . فالف الأخير الوزارة من سبعة وزراء من الشخصيات المستقلة وتولى هو مهام وزارتى الخارجية والداخلية الى جانب رئاسته للوزارة • وعقب تشكيل الوزارة بادر على ماهـر بتصـفية بعض المشاكل التى تركتها الوزارة السابقة . ووجه عناية خاصة الى مسألة الطلبة ، ووثق علاقته بالصحافة ورجالها وسهل مهمة حصولهم على الأخبار اليومية • ولعل هذه الاجراءات الأولية التى اتخـذها ترجع الى العمل على بث النظـام والأمن بمعاهد التعليم وتدعيم الثقة بينه وبين رجال الصحافة لأنها المنبر المعبر عن أعمال الوزارة

وبدأ على ماهـر فى تمهيد الطـريق للمباحثات المصرية ـ البريطانية وحرص على أن يكون هذا الطريق معبدا أمام المفاوض المصرى ، فاتصل بالمندوب السامى لمناقشته فى حـذف عبـارة التهديد التى انطوت على تغيير علاقة انجلترا بمصر اذا فشلت المفـاوضات فى ابرام معـاهدة بين البلدين • ولقـد اتفق على ماهر ومايلز على أنه فى حالة افتراض فشل المفاوضات فان

العلاقات المصرية البريطانية لن تؤثر على مابين البلدين من علاقات طيبة • وعندما اعترض الانجليز على وجود الدكتور أحمد ماهر فى وفد المفاوضات ونظرا لحساسية هذا الموضوع لكون أحمد ماهر شقيق رئيس الوزراء وعد مايلز لامبسون على ماهر باستشارة حكومته ، وقد أسفرت هذه الاتصالات عن موافقة الحكومة البريطانية على وجود أحمد ماهر ضمن وفد المفاوضين المصريين • واستطاع على ماهر بعد ذلك أن يوفق بين مختلف زعماء الأحزاب والمستقلين فى تحديد عدد أعضاء كل حزب فى هيئة المفاوضين ونجح فى تشكيل هيئة المفاوضين المصريين من ثلاثة عشر عضوا يمثلون الأحزاب ـ ماعدا الحزب الوطنى ـ والمستقلين برئاسة مصطفى النحاس • واستصدر مرسوما بتأليف هيئة المفاوضين باعتبارهم مندوبين فوق العادة لكى يكتسبوا الصفة الرسمية •

وعنى على ماهر بتحسين جو العلاقات المصرية ـ الايطالية بحذر وبدون اغضاب ايطاليا التى كانت فى صراع مع الحبشة وكان يود أن يكسب جانبها حماية لحدودنا الغربية وحفاظا على وصول مياه النيل الى مصر ، وفى نفس الوقت توخى عدم اثارة الجانب

البريطانى الذى لم تبرم معه معاهدة بعد تحدد طبيعة العلاقة بين مصر وانجلترا ٠

وكما عنى على ماهر بتسوية العــلاقات المصرية ـ الايطالية ، فقد وجه عناية خاصة الى اعادة العلاقات المصرية ـ السعودية الى حالتها الطبيعية بعد آن أصيبت بجفاء سياسى منذ سنة ١٩٢٦ ، ولقد آقدم على ماهر على معالجة هذه المشكلة الشائكة وأظهر من تلقاء نفسه رغبة آكيدة فى تسوية المســائل المعلقة بين البلدين فاتصل بالحكومة السعودية التى لبت هذا الطلب وآوفدت الى مصر فؤاد حمزة وكيــل خارجيتها ليبدآ المفــاوضات وليوقع مع مصر معاهدة مودة وصداقة ٠ ولقــد بدأت المفاوضات بين البلدين فى ٢٠ آبريل ١٩٣٦ ، ومثل الجانب السعودى فؤاد حمزة ومثل الجانب المصرى على ماهر ، وقد آسفرت هذه المفاوضات عن توقيع معاهدة بين البــلدين فى ٧ مايو ســنة ١٩٣٦ ٠ وفى ٨ مايو ١٩٣٦ تم التصديق على المعاهدة من الطرفين ونشرت فى البلدين فى آن واحــد ٠ وهكذا استطاع على ماهر ـ رغم كثرة مسئولياته وضيق وقته ـ آن يعيد العلاقات الودية بين مصر والسعودية بعد فترة من الجفاء ناهزت التسع سنوات ٠

لم يقتصر نشاط على ماهر فى الوزارة على تشكيل وفد للمفاوضات وإجراء الانتخابات فحسب ، بل أقدم على حل المسائل الخارجية المعلقة التى طـال الأمد على بعضها كما سبق تنـاوله وعكف فى نفس الوقت على اصلاحات داخلية ، فأخذ يعمل على استكمال الخطوات الاصـلاحية التى بدأها وهـو وزير وقد اهتم بتنظيم القضاء والبوليس تمهيدا لالغاء الامتيازات الأجنبية ، فسـعى الى توحيـد التشريع الذى يطبق فى المحـاكم الأهلية والمحاكم المختلطة ، فألف فى أول مارس سـنة ١٩٣٦ لجنتين احداهما كلفت بتعديل القانونين المدنى والتجارى وقانون المرافعات المدنية والتجارية فى مدى عامين على الأكثر ، واللجنة الثـانية للقيام بمثل ذلك العمل بالنسبة لقانونى العقوبات وتحقيق الجنايات فى مدى عام ٠ ورأى على ماهر بالاتفاق مع وزير الحقانية تنظيم استقلال القضاء وجعل أمور القضاة من شأنهم ، فتقدم الى مجلس الوزراء بمذكرة ايضاحية حول انشاء مجلس القضاء الأعلى وصدر مرسوم بقانون بالموافقة على انشاء هذا المجلس فى ١٠ أبريل سنة ١٩٣٦ ٠

وتقدم على ماهر بمشروع حـول شروط توظيف الأجانب وقد حدد فيه عـدم اسـناد آية وظيفة مدنية

كانت أو عسكرية الى أجنبى الا فى الحالات الاستثنائية التى تتطلب مؤهلات علمية أو عملية خاصة لاتتوفر فى مصرى على ألا يظل الأجنبى فى الوظيفة أكثر من خمس سنوات وقد وافق مجلس الوزراء على هذا المشروع فى ٤ مايو ١٩٣٦ ٠

واهتم على ماهر بالبوليس فسعى الى الارتفاع بمستوى الادارة المصرية بالحد من السلطة المركزية ، فأصدر قرارا بصفته وزيرا للداخلية بتوسيع سلطات المديرين دون الرجوع الى وزارة الداخلية فى المسائل الصغيرة على أن يتحملوا مسئولية أعمالهم ٠

ووجه على ماهر عنايته أيضا لاصلاح مدرسة البوليس التى تخرج «الكونستبلات» ودعمها بكافة اللوازم لتخريج أربعمائة شاب كل عام لسد احتياجات الدولة من رجال البوليس المتعلمين الذين يتحلون بالأخلاق والأمانة ليضمن معاملة الجمهور معاملة طيبة ٠ وفى مجال التعليم رأى على ماهر استحداث نمط جديد للتعليم على منوال المدارس الانجليزية العامة ليجذب أبناء الأغنياء لكى يشبوا على الثقافة المصرية بدلا من ارسالهم الى الخارج من أجل ذلك تقدم الى مجلس الوزراء

بمذكرة ايضاحية لانشـــاء معهد جديد للتعليم باســـم «معهد فاروق» ٠

وقد أيد على ماهر وزير المعارف (محمد على علوبه) فى انشـــاء المجلس الأعلى للتعليم لتنظيم شـــتى أمـــور التعليم والاهتمام بشئون القائمين على التعليم ٠

وقد اهتم على ماهر بالشئون القروية فأنشأ وظيفة وكيل الداخلية للقرى وآنشا مجلسا للمرافق القروية مثلت فيه كافة الجهات المهتمة بالشئون القروية ٠ أما الشئون الصحية فكانت تختص بها مصلحة تابعة لوزارة الداخلية ثم تدرجت الى أن صارت احدى وكالاتها ، الى أن تولى على ماهر الحكم فتقدم الى مجلس الوزراء بمذكرة حول انشاء وزارة الصحة ، وبعد الموافقة على انشاء هذه الوزارة الجـــديدة عهـــد بآمـــورها الى الدكتور محمد شاهين ٠ ورآى على ماهر منعا للاضطراب فى الاصلاح الاجتماعى انشاء «مجلس آعلى للاصـــلاح الاجتماعى» حتى تكون سياسته ثابتة وغير خاضعة لعـــوامل التغيير والتبدل التى تطرآ بتغير الحكومات ، وقد وافق مجلس الوزراء فى ٧ أبـــريل عـــام ١٩٣٦ على انشـــاء هـــذا المجلس ٠

واهتم على ماهر بالصحافة والصحفيين فأصدر القانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ بشأن المطبوعات بحيث جاء موافقا لرغبات الصحفيين ، وأصدر مرسوما آخر يقضى بمعاملة الصحفيين المحكوم عليهم فى جرائم الصحافة معاملة انسانية فى السجن ولايعاملون كالمجرمين . وقد استجاب على ماهر لطلب الصحفيين بانشاء «جمعية الصحافة» فى ٢٠ أبريل ١٩٣٦ .

وعقب وفاة الملك فؤاد فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٦ نادى بفاروق ملكا على مصر وقال كلمته المشهورة «مات الملك فليحيا الملك» . وقدم على ماهر موعد الانتخابات البرلمانية وآجراها بنزاهة تامة وتم الاتفاق بينه وبين زعماء الجبهة المصرية على اختيار الأوصياء وتم اعلان هذا الاختيار فى مؤتمر للبرلمان فى ٨ مايو ١٩٣٦ . وعقب ذلك قدم استقالته فى ٩ مايو سنة ١٩٣٦ بعد أن أدى عمله بأمانة ، والتزم بالخط القومى فيما أقدم عليه من أعمال فى المجال الداخلى وفى مجال السياسة الخارجية ، ولكن العجيب أن أغلب مشروعاته الاصلاحية فى المجال الداخلى سقطت باستقالة الوزارة كأنها متضامنة معه ، ويمكن القول أن الغاء هذه المشروعات على يد حكومة الوفد كان دافعا حزبيا بحتا وان دل ذلك

على شيء فانما يدل على ضيق النظر والنظرة الحــزبية القاصرة للوفد ٠

على ماهــر رئيســا لمجلس الوزراء ووزيــرا للداخلية والخارجية (١٨/٨/١٩٣٩ ـ ٢٧/٦/١٩٤٠) :

كلف الملك فاروق على ماهر بتشكيل الوزارة فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ ، وألف على ماهر وزارته من أربعة عشر وزيرا من المستقلين والسعديين وتولى الى جــانب رئاسته للوزارة كلا من وزارتى الداخلية والخارجية ٠

بقيام الحرب العالمية الثانية بدأت معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وانجلترا تدخــل لأول مــرة مرحلة التطبيق العملى ، وكان على وزارة على ماهر أن تتولى هذه المهمة، ولقد طلب السفير البريطانى من على ماهر اعلان حالة الطوارىء وقد لبى الآخير هــذا الطلب فأعلن حــالة الطوارىء وفرض الأحكام العرفية وعين نفسه حاكما عسكريا فى أول سبتمبر ٠ ولقد أعطى على ماهر عشية اندلاع الحــرب الجانب البريطانى كل ماطلبه تقــريبا فيما عدا اعلان الحرب على آلمانيا وتعيين حكام عسكريين بريطانيين يطبقون القانون العسكرى البريطانى على مديريات ومحافظات مصر ٠

أما عن موقف على ماهر من دخـول مصر الحـرب العالمية الثانية فالمصادر العربية والانجليزية توضح أن على ماهر لم يتبن سياسة «تجنيب مصر ويلات الحرب» غداة نشوب الحرب الثانية . بل كان من أنصار دخـول الحرب الى جانب بريطانيا . ولعله فى هذا الموقف كان معتقدا بانتصار انجلترا وحلفائها على دول المحور ، يضـاف الى ذلك الموقف الشـعبى الميـال الى نصرة الديمقراطيات فى بداية الحرب ، ولكن لم يلبث هذا الموقف أن تبدل بعد اقتناعه بوجهة نظر عبد الرحمن عزام بعدم دخول الحرب الا فى حالة حصول مصر على مكاسب من وراء اعـلان الحـرب وأمام رفض الجـانب البريطانى الالتزام بأى وعد للحكومة المصرية حـول تحقيق بقية أمانيها تمسك على ماهر بسـياسة تجنيب مصر ويلات الحرب • وقد سكتت الحكومة البريطانية على موقف على ماهر أملا فى أن يتغير بتغير الموقف العسكرى لصالح دول الحلفاء ضد دول المحـور يضاف الى ذلك خشية الجـانب البريطانى من التـدخل باقالة الوزارة وخطورة هذا العمل لحساسية الموقف الحربى وتبنى الرأى العام سياسة تجنيب مصر ويلات الحـرب ، فضـلا عن تأييد الملك لهذه السياسة ، ولقد آثر السفير البريطانى ترك الأمور بيد على ماهر حتى تحين الفرصة لأن تعم

الشكوى منه وأن يعبث بأحكام الدستور وعند ذلك يجد المبرر للتدخل لاقالته · ولم يكد يمر شهر سبتمبر حتى رفع السفير عقيرته بالشكوى الى وزير خارجيته من على ماهر ، واتهمه باتباع سياسة ذات وجهين فهو على اتصال بالانجليز وفى نفس الوقت على اتصالات ودية بكل من ايطاليا وألمانيا واستمرار نفوذه وسيطرته على الملك فاروق ، فضلا عن مسئوليته فى نمو التيار الموالى للألمان فى الأوساط الارستقراطية والسراى ، يضاف الى ذلك تخلصه من العناصر المخلصة للانجليز كأمين عثمان الذى أحاله الى المعاش ، وقد أوضح لامبسون لهاليفاكس أن بقاء على ماهر سيؤدى الى ضعف مركز انجلترا فى مصر ولذا يجب التخلص منه ان عاجلا أو آجلا ·

وعلى الرغم من أن مصر أصبحت من الناحية الواقعية فى حالة حرب ولم ينقصها الا الاعلان الرسمى فان السفير لم يكف عن المطالبة بطرد على ماهر لأنه فوت عليه فرصة دخول مصر الحرب ، وقد كان دخول مصر الحرب رسميا بمثابة دفعة أدبية كبيرة مشجعة لباقى الدول المترددة فى الشرق الأوسط بدخول الحرب الى جانب الحلفاء ، أما عن اتهام السفير لعلى ماهر بأنه ذو

ميول محورية ، فانه قول مجاف للحقيقة تماما وأعتقد أن السفير البريطانى سعى الى التقليل من شأن بعض الوطنيين المصريين بالقــاء تهمة المحــورية عليهم لأن آراءهم الوطنية كانت تتعارض مع مصالح بلده هذا من ناحية ، أما عن عــلاقة على ماهر الطيبة بكل من ألمانيا وايطاليا فكانت سياسة حكيمة تهدف الى اقامة علاقات متوازنة مع كافة دول العالم واظهار مصر بمظهرالدولة المستقلة فى سياستها عن انجلترا ، أما عن مسئولية على ماهر عن نمو الروح الموالية للمحور فى الأوساطالمصرية فقول تعوزه الدقة لأن كافة المصادر المعاصرة لهذه الفترة تؤكد اعجاب المصريينوالسراى بالعسكرية والانتصارات الالمانية كنوع من الشماتة فى عدوة مصر انجلترا ولم يكن بدافع استبدال أحتلال انجلترا باحتلال ألمانى أو ايطالى لمصر وعلى ماهر شأنه فى هذه الفترة شأن بقية المصريين كان يسعى الى تحــرير بلاده وبالتــالى كان شامتا فى الانجليز الذين اعتدوا على استقلال مصر .

لم ينشغل على ماهــر بمسائل الدفاع والســياسة الخارجية فحسب خلال رئاسته للوزارة بل قام بسياسة اصلاحية فى الداخل كما وعد بذلك فى خطاب العرش الذى ألقاه فى البرلمان يوم ١٨ نوفمبر ١٩٣٩ ، وحرص

على ماهر لنجاح برنامجه الاصلاحى آن يكون مستمدا من روح الاســلام ، فضــلا عن اختياره لوزراء آكفاء فى تخصصاتهم الفنية وممن عرفوا بالسمعة الطيبة ، وسعى الى الالتزام بالخط القومى فى معاملته مع الأحــزاب السياسية والمستقلين لضمان تأييــدها له آو تحييدها بعدم محاربته ، وفى نفس الوقت انتهج خطة الاتصال بالشعب عن طريق الزيارات الميدانية للأقاليم لدراسة المشاكل على الطبيعة ٠

وبدأ على ماهر تنفيذ سياسته الاصلاحية بانشاء وزارة الشئون الاجتماعية ، ويعد انشاء هذه الوزارة خطوة هامة لدراسة المسألة الاجتماعية التى آسقطت من برامج الأحزاب المصرية خــلال هذه الفترة والنهوض بأحوال العامل والفلاح والقرية والمدينة ٠

وأصدر على ماهر قرارا بتحريم تقديم الخمور فى الحفلات الرسمية ، وقد كان لصدور هذا القرار أثــر طيب فى نفوس آفراد الشعب المصرى ٠ وحرصا من على ماهر على الاقتصاد فى الكماليات وآبهة المناصب قرر مجلس الوزراء تخفيض مرتب الوزير الى ٢٠٠٠ جنيه سنويا بدلا من ٣٠٠٠ جنيه ، وتخفيض بابى المصروفات النثرية والتأثيث الى النصف وبلغت جملة التخفيض فى

جميع الوزارات والمصالح مبلغ خمسين ألف جنيه ·

وبناء على اقتراح من على ماهر وافق مجلس الوزراء على مرســوم خاص بانشــاء «مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث» نعرض الربط بين المصالح الحكومية والهيئات الخاصة التى تقوم بالبحوث العلمية فى شتى المجالات ، ويعد انشاء هــذا المجلس خطــوة سليمة فى النهوض بالشئون الزراعية والصناعية وغيرها على أسس سليمة· وقد رأى على ماهر أن انشاء نقابة للصحفيين أفضل من «جمعية الصحفيين» التى اعترفت بها حكومته الأولى سنة ١٩٣٦ على اعتبار أن النقابة أكثر ملاءمة للهيئات التى تتصل بالمصلحة العامة كنقابة المحامين والأطبــاء ومن أجل ذلك تقدم بمذكرة الى مجلس الوزراء بشأن مشروع القانون الخاص بانشاء نقابة للصفيين وقــد وافق المجلس على هــذا المشروع فى ٧ نوفمبر ســنة ١٩٣٩ ·

وسعى على ماهر الى الاهتمام بالجيش المصرى ولكنه كان يدرك أن معركته فى هــذا المجال خاسرة نظرا لأن بريطانيا لن تسمح بوصول الجيش الى مراتب القوة التى تهدد وجودها ، ونبعت فلسفة على ماهر وحكومته من هذا المنطلق فى أنه مادام من الصعب محاربة بريطانيا

فى شئون الجيش المصرى فلتحارب فى مجالات لاتملك السيطرة عليه ، ومن هنا نبعت فكرة انشاء تنظيمات مسلحة ذات طابع شعبى لتنمية قدرات مصر دون أن يكون لبريطانيا عليها سيطرة فكانت فكرة انشـاء «الجيش المرابط» عبارة عن رد فعل لحرمان بريطانيا لمصر من انشاء جيش قوى • فتقدم على ماهر بمذكرة الى مجلس الوزراء بشأن انشاء «قوات مرابطة» وبمقتضى ذلك صدر مرسوم بقانون رقم ١٠٠ لسـنة ١٩٣٩ بانشاء قوات مرابطة ، ولم تقتصر خطـة على ماهر فى اقامة التنظيمات العسكرية التى لاتخضع للجيش مثل فكرة الجيش المرابط ، بل أصدر آمرا لكل المدارس لتعليم الطلاب التدريب العسكرى ، وفى ١٦ ينـاير ١٩٤٠ أصدر على ماهر آمرا ملكيا حـول به قواعد التـدريب العسكرى للطلبة فى الجامعة الى نظام احتياطى متكامل تحت اسم سلاح تدريب الضباط بهدف توفير مصدر من الضباط للقوات المرابطة •

أما محصول القطن فقـد كان مثـار اهتمام وقلق للمصريين قبيل نشوب الحرب ، نظرا لاضطراب الحـالة الدولية والتخوف من انخفاض آسعاره وسوء تصريفه ، وقد أثبتت الحوادث صدق هذه التوقعات ، ونظرا لخطورة

حالة محصول القطن أعلن على ماهر أمام البرلمان اهتمام الحكومة بمسألة القطن ، ولقد اتخذت الحكومة مجموعة من الاجراءات لحماية القطن من هبوط أسعاره وضمان تصريفه .

وفى ٢٣ يونيه ١٩٤٠ قدم على ماهر استقالته الى الملك ولكنها لم تقبل الا فى ٢٧ يونيه ، وهذه الاستقالة كانت نتيجة طبيعية للضغط البريطانى على الملك بضرورة تغيير وزارة على ماهر . ويعد هذا التدخل البريطانى باخراج على ماهر من الحكم أول تدخل مكشوف واعتداء واضح على سيادة مصر منذ ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت هذه الحادثة (خروج على ماهر من الحكم) بمثابة المقدمات الطبيعية لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ولم تكتف السلطة البريطانية بابعاد على ماهر عن الحكم بل أصرت على الانتقام منه وشل نشاطه ، فتقدمت للحكومات المصرية بطلب اعتقاله ، وفى الوقت الذى رفضت فيه حكومتا حسن صبرى وحسين سرى اعتقاله وهما حكومتا أقلية لبت هذا الطلب حكومة مصطفى النحاس ذات الأغلبية الوفدية .

علي ماهر رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والحـربية (٢٧ يناير ١٩٥٢ ـ أول مارس ١٩٥٢) :

اتخذ الملك فاروق قـرارا باقالة وزارة مصطفى النحاس فى أعقاب اندلاع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وكلف على ماهر بتشكيل الوزارة ، وألف على ماهر وزارة مستقلة من الفنيين بلغ عدد أعضائها عشرة وزراء وتولى هو مهـام وزارتى الخـارجية والحـربية والبحرية الى جانب رئاسته للوزارة ٠

وقد باشر على ماهر عمله فى الوزارة ، فقد سعى الى اعادة الأمن وفى سبيل تحقيق هـذا الهدف اتخـذ مجموعة من الاجراءات تمثلت فى اصدار مرسوم بتعيينه حاكما عسكريا عاما ، وأصـدر أمـرا بمنع التجول فى القاهرة وضواحيها وفى بندر الجيزة ليلا ، وأمر باغلاق المحـال العـامة والتجـارية فى مـدينتى القـاهرة والاسكندرية عدا الصيدليات والمخابز والمطاحن ليلا ٠ وقد أحال بعض الجرائم التى يعـاقب عليها القـانون العام الى المحـاكم العسكرية ـ مثل تعطيل المواصـلات والقيام بالمظاهرات ٠٠٠ الخ ٠

وكان من نتيجة هذه الاجراءات بالاضافة الى نزول الجيش الى العاصمة يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ أن عاد الأمن

والسكينة الى القاهرة وضواحيها ، وهكذا تم حمـاية المجتمع من الأشرار والمخربين ·

وكان فى مقدمة أعمال على ماهر بعد أن استتب الأمن أن قام بتهدئة النفوس التى أضيرت بسبب حريق القـاهرة ، فتقدم الى مجلس النـواب بمشروع قانون بتخصيص مبلغ خمسة مـلايين من الاحتيـاطى العـام لمساعدة منكوبى حوادث مدينة القاهرة ، وقد درست لجنة الشئون المالية هذا المشروع وأقرته على أن يكون هذا المبلغ سلفة يقوم أصحاب المنشآت بعد تشغيلها الى تسديدها ·

وتخفيفا عن كاهل المواطنين فى ارتفاع الأسـعار قرر على ماهر خفض الأسعار بالنسبة للحاجات الأساسية مثل السكر والكيروسين والأقمشة الشعبية وتوفير المواد التموينية ، وقد رحب المواطنون بهذه السياسة الرامية الى محاربة الغلاء ·

وفى فبراير عام ١٩٥٢ قسم وزارة الشئون البلدية والقـروية الى وزارتين احـداهما للشـئون البلدية وأخرى للشئون القـروية ، وترتب على ذلك تعـديل الوزارة · وقد صرح على ماهر بأن الهدف من تخصيص

وزارة للشئون القروية أن تقوم بتنفيذ المشروعات الخاصة بالريف بدلا من توزيع هذه المشروعات بين مختلف الوزارات وماكان يترتب على ذلك من كثرة التكاليف وطول وقت التنفيذ ٠

وسعى على ماهر الى تحقيق أهداف الوطن فى الجلاء والوحدة وأدرك بثاقب بصره أنه قبل بدء المفاوضات مع الجانب البريطانى لابد من اتخاذ الوسائل الضرورية لمساندة الأمة له ، ولكن هذه المساعى الطيبة من جانبه تحطمت على صخرة الخلافات الحزبية البغيضة، وعلى الرغم من هذا الموقف غير المسئول لزعماء الأحزاب ، فان على ماهر لم ييأس واستمر فى خطته فى التعامل مع جميع الأحزاب حتى يكسب ودها ويتقى شرها ٠

وقد اجتمع على ماهر بالسفير البريطانى يوم ١٢ فبراير وفاتحه فى ايجاد حل للقضية المصرية واجتمع به مرة أخرى وسلمه برنامج المفاوضات ٠ وفى صباح اليوم المحدد لبدء المباحثات وجهت ضربة عنيفة لعلى ماهر ، اذ ذكر للدكتور مصطفى الحفناوى أنه كان يعتقد بنجاح المفاوضات لولا أن دس الملك فاروق ضده وعمل على اسقاطه ، فقد كان على موعد مع السفير

البريطانى ولم يحضر السفير بحجة آنه مريض ، ولما
ثبت لعلى ماهر أن الملك أرسل للسفير رئيس ديوانه الذى
أوصاه بالاعتذار وابلغه آن وزارة جـديدة هى التى
ستفاوضه ، بادر على ماهر بتقديم استقالة الوزارة فى
أول مارس ١٩٥٢ .

على ماهر وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ المواطنون صباح يوم ٢٣ يوليو على أول بيان للضباط الأحرار أذيع بصوت البكباشى أنور السادات من دار الاذاعة المصرية باسم «القائد العام للقوات المسلحة» . ولقد استقبل الشعب المصرى بيان قائد حركة الجيش اللواء محمد نجيب بالفرح والاعجاب ·

وكان على قادة الحركة أن يواجهوا المسئولية ، وأولها تكليف وزارة لادارة شئون البلاد · واتفق جميع الضباط الأحرار على تعيين على ماهر رئيسا للوزراء ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها أن علاقة على ماهر الوثيقة بالملك فاروق يمكنها أن تسهل نجاح الحركة ، فعلى ماهر هو الذى نادى بالملك فاروق ملكا على مصر فى سنة ١٩٣٦ عقب وفاة والده الملك فؤاد ، وهو الذى حافظ له على حقوقه ، كذلك فان على ماهر كان غير مرتبط بحزب من الأحزاب (مستقل) ، الى جانب

أنه كان سياسيا محنكا ذا خبرة طويلة فى شئون الحكم ومتصفا بالحسم فى انجاز الأمور ، وكانت الحركة أحوج ماتكون الى سياسى ماهر بهذا الشكل لتحقيق مطالبها ، ثم معرفة محمد نجيب اياه شخصيا منذ زمن طويل نظرا لاهتمامهما بموضوع السودان ·

على ماهر رئيســا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية والحربية والبحرية :

نزولا على رغبة قائد حـركة الجيش والضـباط الأحرار الذين وقع اختيارهم على على ماهر استقالت وزارة أحمد نجيب الهلالى فى ٢٤ يوليه ١٩٥٢ ، وفى نفس اليوم كلف الملك على ماهر بتأليف الوزارة ، وألف على ماهـر الوزارة من عشرة وزراء وتولى هو مهـام وزارات الداخلية والخارجية والحربية الى جانب رئاسته للوزارة ·

وقدم محمد نجيب يوم ٢٦ يوليو لعلى ماهر انذار الجيش للملك بضرورة توقيع وثيقة التنازل عن العرش قبل الثانية عشر ظهرا ومغـادرة البـلاد قبل الساعة السادسة مساء · وأبلغ على ماهر الملك بانذار الجيش

شفهيا لقسوة بعض كلماته ، مشفوعا برأيه ونصيحته فى النزول عن العرش لابنه آحمد فؤاد الثانى استبقاء للعرش فى ذريته ، ولكن الملك قال له آنه ليس جبـانا وأن عنده قوات موالية أكثر مما عند الثائرين ، ولكن على ماهر أوضح له مخاطر تعريض مصر لحـرب أهلية لا يعـلم مـداها الا الله ، وما قد تجلبه على الوطن من ويلات ودمار ، واقتنع الملك دون نقاش طويل ، وهكذا ثبت أن اختيار على ماهر رئيسا للوزارة فى هذه الفترة كان موفقا لصلته القديمة بالملك ولأنه موضع ثقته مما جعل عملية النزول عن العرش تتم فى سهولة مطلقة ٠

وهكذا نجحت حركـة الجيش وتنـازل الملك عن العرش لولى عهده أحمد فؤاد بناء على نصيحة على ماهر والسفير الأمريكى الذى وعده بحمـايته وآسرته حتى يغادروا مصر ٠ وآعدت الباخرة (المحروسة) ، تمهيدا لرحيل الملك ، وما أن غادر الملك القصر حتى أنزل العلم الملكى وطوى وسلمه قائد الحرس الملكى الى على ماهر ، الذى قدمه بدوره الى الملك وآديت له التحية العسكرية ٠ وهكذا رحل فاروق عن مصر بصورة كريمة ان دلت على شىء فانما تدل على المعانى والقيم الانسانية النبيلة التى يتمتع بها غالبية الضباط الأحرار وهم بهـذا الموقف

عبروا عن روح السماحة التى يتمتع بها الشعب المصرى منذ القدم ٠

وعلى الرغم من قصر عمر وزارة على ماهر الا أنها أصدرت مجموعة من القوانين الهامة ، من ذلك أنها قررت فى جلسة ٢٤ يوليه الغاء مصيف الحكومة فى الاسكندرية ، وأصدر على ماهر آمرا رقم ٦٨ لسنة ١٩٥٢ بالغاء الرتب المدنية (كلقب بك ، وباشا ٠٠٠ الخ) ٠ وأصدر مجلس الوزراء بناء على ماعرضه على ماهر مرسوما بقانون رقم ١٢٦ لسنة ١٩٥٢ بأصول مسئولية الوزراء التى لم يتناولها قانون العقوبات ، وتضمن توقيع العقوبات التى تصل الى درجة العزل من الوظيفة وسقوط العضوية فى أحد مجلسى البرلمان والحرمان من الحقوق الانتخابية بالاضافة الى بقية الأحكام المقررة فى قانون العقوبات ٠

وهدف القانون الى عدم استغلال النفوذ فى الأعمال الاقتصادية وعدم الاهمال محافظة على سلامة الدولة وعدم استخدام أى تصرف بهدف التأثير على القضاء والافتاء أو التدخل فى الانتخابات أو اجراءاتها بهدف التأثير فى نتيجتها ٠

وبعد خروج الملك كان من الصعب أن يتفق على ماهر والضباط الأحرار ، وأمام حرص ومحاولة على ماهر الانفراد بادارة أمور الدولة واستخدام أسلوب المراوغة فى عدم تلبية مطالب الضباط ، وقد بلغ الخلاف مداه بينهما عندما عارض على ماهر مشروع قانون الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية الزراعية وأخذ يعمل على وأده عند ذلك الحد طلب الضباط منه تقديم استقالته فقدمها فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، وفى نفس اليوم كلف محمد نجيب بتشكيل الوزارة وبذلك انتقل مجلس قيادة الثورة من دور الاشراف الى الحكم .

على ماهر رئيسا للجنة مشروع الدستور (١٩٥٣ - ١٩٥٤) :

استقر رأى أعضاء مجلس قيادة الثورة على الغاء دستور ١٩٢٣ . ففى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ أذاع محمد نجيب بيانا على الشعب أعلن فيه سقوط دستور ١٩٢٣ وأشار الى أن دستورا جديدا سوف تضعة لجنة معينة . واستشعرت الحكومة الحاجة الملحة الى نظام مؤقت للبلاد خلال فترة الانتقال يحدد سلطات الدولة واختصاصات

كل منها وصدر فى هذا الصدد « اعلان دستورى » فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ عهد فيه بوضع السلطة التنفيذية والتشريعية فى يد مجلس قيادة الثورة لمدة ثلاث سنوات فى ١٦ يناير ١٩٥٦ . وتحقيقا للوعد الذى قطعه محمد نجيب فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، صدر فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ مرسوم بتأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد «يتفق مع أهداف الثورة» ، وقد تشكلت اللجنة من خمسين عضوا يمثلون مختلف الاتجاهات والأحزاب والطوائف من بينهم ثلاثة من اعضاء اللجنة التى أعدت دستور ١٩٢٣ هم على ماهر ومحمد على علوبة وعلى المنزلاوى .

وفى يوم السبت ٢١ فبراير ١٩٥٣ افتتح محمد نجيب أعمال لجنة الدستور . وبعد هذه الجلسة الافتتاحية عقدت لجنة الدستور أول جلسة عمل لها وتمت عملية الانتخاب فنال على ماهر ٣٨ صوتا من مجموع الأصوات الخمسين ، فأعلن انتخابه رئيسا للجنة . وقد شكلت اللجنة من بين أعضائها لجنة فرعية من ١٥ عضوا برئاسة على ماهر لوضع الخطوط الرئيسية لمشروع الدستور الجديد وذلك بالاضافة الى عدة لجان أخرى .

وانتخبت لجنة الخطوط الرئيسية لجنـة فرعية من خمسة أعضاء هم : الدكتـور عبد الرازق السـنهورى والدكتور سيد صبرى والدكتور عثمان خليل عثمان وعبد الرحمن الرافعى ومكرم عبيد لبحث نظام الحـكم أولا وهل يكون ملكيا أو جمهوريا ، وكان أن رآت هذه اللجنة بالاجماع أن يكون نظام الحكم جمهوريا على أن يستفتى الشعب فى ذلك حتى قبل استفتائه على مشروع الدستور بكامله ، وقد أشارت اللجنة الى مساوىء النظام الملكى عموما وعدم صلاحيته لمصر بالذات ، ووافقت لجنة الخمسين على ذلك فى ٥ مايو ١٩٥٣ ٠ وبذلك أصبح الجو مهيئا لاعلان سقوط النظام الملكى ، فصـدر من مجلس قيادة الثورة بيان فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣ أعلن فيه سقوط النظام الملكى واعلان الجمهورية وتولى محمد نجيب رئاسة الجمهورية بالاضافة الى سلطاته الأخرى٠

ولكن عندما انتهت لجنة الخمسين من اعداد مشروع الدستور وأقرته فى أغسطس ١٩٥٤ وقدمه على ماهر الى مجلس قيادة الثورة لم يلتفت اليه آحـد ولم يعن بدراسته من الناحية النظـرية آو الأكاديمية ومن ثم أهمل ٠

وبعد أن آتم على ماهر أعماله فى لجنــة الدســتور وأصبح بعدها بعيدا عن السلطة اتجه بنشاطه الى العمل فى المجال الاجتماعى كعادته دائما عنــدما يخــرج من الحكم ٠ وظل على ماهر يواصل نشاطه الاجتماعى المتنوع لخدمة الوطن حتى وافته المنية فى أغسطس ١٩٦٠ ٠

المراجع

- د· أحمد زكريا الشلق : حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ ـ ١٩٥٣ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٢ ·
- د· أحمد عبد الرحيم مصطفى : العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٦٨ ·
- د· رأفت الشيخ : مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، القاهرة ١٩٧٩ ·
- رمزى ميخائيل جيد : الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ١٩٨٠ ·
- د· رءوف عباس : حزب الفلاح الاشتراكى ١٩٣٨ ـ ١٩٥٢ ، المجلة التاريخية ، المجلد ١٩ لسنة ١٩٧٢ ·
- د· زكريا سليمان بيومى : الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٩ ·
- سيد مرعى : أوراق سياسية ، ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٨ .
- صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين : القاهرة ١٩٧٦ ·
- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ·

- د. عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٦ .
- د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٧١ .
- ـــــــ : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، بيروت ١٩٧٥
- ـــــــ : أضواء على موقف وزارة على ماهر من الحرب العالمية الثانية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٤ لسنة ١٩٧٧ .
- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ . جـ ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ـــــــ : فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ القاهرة ١٩٤٧ ، ١٩٥١ .
- د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ـــــــ : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ، قسمان ، بيروت ١٩٧٣ .
- ـــــــ : صراع الطبقات فى مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٨ .
- ـــــــ : الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٩ .
- ـــــــ : عبد الناصر وأزمة مارس ، القاهرة ١٩٧٦ .

- د· عبد المنعم الجميعى : الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨ ــ ١٩٢٥ ، القاهرة ١٩٨٠ ·
- ــــــــ : الجذور التاريخية لفكرة الجمهورية فى مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ ·
- د· عبد الوهاب بكر : الوجود البريطانى فى الجيش المصرى ١٩٣٦ ــ ١٩٤٧ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٢
- د· على شلبى : مصر الفتـــاة ودورها فى الســياسة المصرية ١٩٣٣ ــ ١٩٤١ ، القاهرة ١٩٨٢ ·
- على ماهر : القانون الدولى العام ، القاهرة ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ ·
- ــــــــ : جبهة مصر ، القاهرة ١٩٥٢ ·
- د· محمد أنيس : حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، بيروت ١٩٧٢ ·
- د· محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ ١ ، جـ ٢ ، القاهرة ١٩٥١ ، ١٩٧٧ ·
- محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ، القاهرة ١٩٧٥ ·
- محمود عزمى : الأيام المائة على هامش التاريخ المصرى الحديث ، عهد وزارة على ماهر باشا (٣٠ يناير الى ٩ مايو ١٩٣٦) ، مكتبة النهضة المصرية ·
- د· نبيل عبد الحميد سيد أحمد : النشاط الاقتصادى الأجانب وأثره فى المجتمع المصرى ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ ، القاهرة ١٩٨٢ ·

- د. يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٧٥ .
- يوسف نحاس : ذكريات سعد ، عبد العزيز ، ماهر ورفاقة في ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ١٩٥٢ .

— Chinol, V. : The Egyptian problem, London, 1920.

— Deeb. M. : Party Politics in Egypt 1919-1939, London 1979.

— Evans, T. (ed) : The Killearn Diaries 1934-1946. London. 1973.

— Holt. P. M. (ed) : Political and Social change in Modern Egypt, London 1968.

— Lloyd. L. : Egypt since Cromer, 2 vols, London 1933-34.

— Lugol. Jean : Egypt and World War II, Cairo, 1945.

— Marlowe J. : Anglo-Egyptian Relations 1800-1956. 2nd ed., London 1965.

Vatikiotis. P. J. : The Modern History of Egypt, London 1950.

المحتـوى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٢٥٩٩

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٣٠٥ ـ ٠

هذا هو الكتاب الثانى فى سلسلة الكتب التاريخية التى تصدر من هيئة الكتاب عن « تاريخ المصريين » وهو عن على ماهر .

ويعتبر على ماهر باشا من أبرز الشخصيات السياسية المصرية ذات النزعة الأوتوقراطية ، التى تركت بصماتها فى الحياة السياسية المصرية فى العهد السابق على ثورة يوليو . كوزير وكرئيس للوزراء وكرئيس للديوان الملكى .

مطابع الهيئة ا،

٥٠ قرشا